صور من افتراءات المستشرق جراهام على الأحاديث القدسية

د. عزية علي طه

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

لقد حصل المستشرق وليام البرت جراهام Wiliam Albert Graham على درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية عن رسالته التي تقدم بها إلى تلك الجامعة، تحت عنوان «الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية في الإسلام»، وذلك في أغسطس عام ١٩٧٣م. ولقد تمت طباعة تلك الرسالة وصدورها في كتاب بنفس العنوان عام ١٩٧٥م.

ولقد ادعى هذا المستشرق: أنه قد أصل بحثه المشار إليه أعلاه بمراجع معتبرة ومتعددة عربية وغير عربية، وتوصل في بحثه هذا إلى نتائج مهمة كانت مجهولة لدى من سبقه من الباحثين في مجال الأحاديث القدسية من أمثال: صموئيل زويمر Samuel Zwimer، ولويس ماسينون Louis Massignon وجيمس روبنسون James Robinson، ونابيه أبوت Nabia Abott، وغيرهم.

ومن النتائج التي ادعى جراهام أنه قد توصل إليها ما يمكن إجماله فيمايلي:

(أ) إن السلف الصالح من المسلمين لم يستطيعوا أن يميزوا بين الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية.

(ب) إن الصحابة رضوان الله عليهم قد تسببوا في إرباك من جاء بعدهم

من المسلمين، لأنهم بزعمه كانوا ينسبون الحديث الواحد تارة لله عز وجل، وتارة أخرى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

(ج) إن الأحاديث القدسية لم تحدد وتميز وتأخذ هذا الاسم إلا في القرن السابع من الهجرة.

(د) إن معظم الأحاديث القدسية مقتبسة عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن الفلسفة الهلينيقية ولكن على الرغم من ذلك لم يتورع المحدثون عن توثيقها وإعتبارها من الأحاديث الصحيحة في ضوء الشروط التي اعتمدوها لقبول الأحاديث أو ردها.

فهل يا ترى كان السلف الصالح يميزون بين الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية؟ أم أنهم اضطربوا في نسبتها إلى مصدرها الحقيقي كما ادعى جراهام؟

وهل كانت الأحاديث القدسية محددة ومميزة ومعروفة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؟ أم أنها حددت وعرفت في عصور متأخرة جدا، كما يدعي جراهام؟وهل تساهل المحدثون في تحمل الأحاديث القدسية وأدائها واعتمادها في مصنفات الحديث كما ادعى جراهام؟ أم أن الأحاديث القدسية كانت قد خضعت لنفس القواعد والموازين التي قد ارتضاها المحدثون لقبول الحديث أو رده؟

وهل أُقتسبت معظم الأحاديث القدسية عن اليهود والنصارى وعن الفلسفة الهلينيقية كما ادعى جراهام؟ أم أن هذه الأحاديث هي وحي من عند الله سبحانه وتعالى وإنْ جاءت بألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم؟

للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها سوف تقوم الكاتبة في هذا البحث بإذن الله بتناول الموضوعات التالية:

١ ـ استعراض بعض إفتراءات المستشرق جراهام على الأحاديث القدسية.

٢ ـ معنى الحديث القدسي ومنزلته الشرعية، والفرق بينه وبين القرآن الكريم

والحديث النبوي الشريف.

٣ - موضوعات الأحاديث القدسية.

٤ - إفراد الأحاديث القدسية بالتصنيف.

٥ - تحقيق وشرح بعض الأحاديث القدسية التي طعن فيها المستشرق جراهام والرد عليها على افتراءاته.

٦ - الخاتمة.

١ - استعراض بعض افتراءات المستشرق جراهام على الأحاديث القدسية:

يفتخر جراهام على من سبقه من المستشرفين كصموئيل زويمر، ولويس ماسينون، وجيمس روبنسون: أنه قد توصل إلى حقيقة مؤداها أن الحديث القدسي كان له وجوده في عصر الصحابة رضوان الله عليهم، إلا أنه زعم أن الصحابة لم يتمكنوا من التمييز بين الأحاديث النبوية، فكانوا ينسبون بزعمه الحديث الواحد لله عز وجل تارة، وللرسول صلى الله عليه وسلم تارة أخرى، ويتقبلونه هكذا دون الإحساس بوجود مشكلة في هذا الأمر، فهو يقول في مؤلفه المذكور آنفا حول هذا الموضوع ما ترجمته كمايلي: «لقد درس صموئيل زويمر الأحاديث القدسية من زاوية واحدة، أي من ناحية أسانيدها فقط، وحكم عليها بالوضع، مؤكد أنه لا يمكن الوصول بها إلى عصر الصحابة والتابعين، فهي في نظره من بنات أفكار الزهاد والمسلمين المتعصبين للإسلام في عصور متأخرة.

أما لويس ماسينون فقد لفت الإنتباه إلى أثر الشطحات الصوفية في وضع الأحاديث القدسية في عصر التابعين وأتباعهم، لذا فإنه حكم على جميع الأحاديث القدسية بأنها مرسلة.

ولقد اتفق زويمر وماسينون وروبنسون على أن هذه الأحاديث وضعت لأسباب دينية واجتماعية وسياسية وغيرها.

ولكنني توصلت في هذه الدراسة إلى أن الأحاديث القدسية كان لها وجود

في عصر الصحابة، وهي في جملتها تعكس فهم المسلم البدائي للوحي والرسالة وكيفية استجابة الصحابة لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ورسالته، حيث لم يكن الصحابة يفهمون الفرق بين الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية كما حددها المحدثون في قرون متأخرة، ولم يكونوا يفرقون بين الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية، فتناقل بعضهم جملة من الأحاديث على اعتبار أنها من أقوال محمد - صلى الله عليه وسلم - بينما تناقلها بعضهم الآخر على إعتبار أنها أحاديث قدسية. وارتبك بعضهم في نسبتها لله مرة، ولمحمد صلى الله عليه وسلم مرة أخرى، وخير مثال على ذلك الحديث الذي أورده الصحابة على لسان رسولهم منسوبا لله كما يلي: (... إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه وإذا كره لقائي كرهت لقاءه)[١].

ولقد نسب هذا الحديث لمحمد - صلى الله عليه وسلم - مرة أخرى كالآتي: (... من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)[٣].

ومما لا شك فيه - كما يقول جراهام - أن اختلاف الأسانيد أدى إلى المزج بين الأحاديث القدسية، بجانب ارتباك الصحابة وخلطهم بين الحديث القدسي والنبيوي في متن واحد، هذا يدل دلالة واضحة على أن كل راوٍ كان يروي الحديث دون تدبر أو تفكير في محتواه، ولقد كان لمثل هذه الممارسات

---

(١) انظر Part 3, Saying 31. P. 153.
(أنظر نص الحديث أيضا في البخاري على أنه حديث عن الله . المرجع التالي).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله).
١٣/ ٤٦٦ «من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري».
- وأخرجه في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٣٥٧/١١ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).
- وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله ٩/١٧ (من صحيح مسلم بشرح النووي).

أثر بالغ في سرعة تحويل الأحاديث القدسية إلى نبوية أو العكس، ولم يبد المحدثون أي اهتمام بهذا الأمر ولم يبالوا به مع وضوحه وجلائه، ومما زاد الأمر تعقيدا وإبهاما أن كثيرا من هذه الأحاديث قد وردت بصيغ المبني للمجهول.

إن هذه هي أهم الصفات البارزة للأحاديث القدسية بصورة عامة. ولقد كان من الصعب على المسلمين البدائيين أن يجدوا تحليلا مقنعا لظاهرة الخلط بين الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية، وبخاصة إذا كان الحديث مرويا عن صحابي واحد، ولكن بطرق مختلفة، كما هو واضح من الأحاديث المروية عن أبي هريرة، ومنها الحديث الآتي: (... عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: «يسب بنو آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار»[1].

وورد في صحيح مسلم بشرح النووي (٣/١٥): «عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلِّب الليل والنهار».

ولقد ورد هذا الحديث مرة أخرى على أنه حديث نبوي، وعن نفس الراوي حيث جاء فيه مايلي: (لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر)[2].

وهناك حديث آخر ورد عن أبي هريرة كحديث قدسي ونصه كالاتي: (لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدرته، ولكن يلقيه القدر وقد قدرته له، أستخرج به من البخيل» ويؤتيني عليه ما لم يكن آتاني من قبل[3].

---

(١) أنظر Part 3, Saying 89,P. 21

ـ أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر ٥٦٤/١٠(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري)

(٢) ـ أخرجه مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر ٣/١٥ (من صحيح مسلم بشرح النووي)

(٣) انظر Part 3, Saying, 45 p. 168.

ـ أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب القاء النذر العبد إلى القدر ٤٩٩/١١ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

ولقد ورد هذا الحديث مرة أخرى كحديث نبوي عن أبي هريرة نفسه ونصه كالآتي: (عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: لا تنذروا، فإن النذر لا يغني من القدر شيئا، وإنما يستخرج به من البخيل)[1].

ومن هنا يتضح لنا ـ كما يقول جراهام ـ أن أبا هريرة كان يخلط بين الأحاديث، ويتردد في نسبتها لمصدر معين، فمرة يقول لمن حوله: إنها صادرة من عند الله، ومرة أخرى يقول: إنها صدرت من محمد ـ صلى الله عليه وسلم، وعليه فإن رواة الحديث في القرن الأول الهجري بصفة خاصة هم الذين تسببوا في هذا المزج والخلط، مما أدى إلى ابتكار الأحاديث الالهية، وإنفصالها عن الحديث النبوي، بناء على اجتهادات علماء الحديث فيما بعد.

وتظهر لنا آثار هذا المزج بوضوح في بعض الأحاديث القدسية، حيث لا يستطيع المرء أن يفهم من سياقها لمن تنسب، لأن منهاما هو مبدوء بعبارات مبهمة، وبخاصة تلك الأحاديث التي تتحدث عن يوم البعث، وفيها أن صوتا او مناديا مجهولا يخاطب الناس يوم الحشر، ومنها ما بديء بصيغة المجهول، مثل يقال للناس..، أو نودي... ومن أمثلة ذلك الأحاديث التالية:

إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار فنودوا يا أهل الجنة)[2].

وحديث: «إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن هيء له أن يقال له: تمن فيتمنى فيقال له: هل تمنيت؟ فيقول: نعم، فيقول له: فإن لك ما تمنيت»[3].

وحديث: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب النذر ٩٨/١١
(من صحيح مسلم بشرح النووي).

(٢) أخرج الدارمي نحوه في كتاب الرقاق ٢/٢٤٠، ٢٤١ حديث رقم ٢٨٢٧.

(٣) انظر Part, 3 Saying 63, P. 190
ـ أخرجه الدارمي في كتاب الرقاق، باب أدنى أهل الجنة منزلا ٢٤٢/٢ حديث رقم ٢٨٣٢.

فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾(١) وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا، وهم لا يؤمنون(٢).

وتظهر لنا آثار الخلط والمزج والارتباك أيضا في بعض الأحاديث التي قد يكون فيه صدر الحديث قدسيا، وعجزه نبويا أو العكس، ومن أمثلة ذلك الأحاديث الآتية:

حديث: (انتدب الله عز وجل لمن خرج في سبيله، لا يخرجه الا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أرجعه بما نال من أجر، أو غنيمة، أو أدخله الجنة. ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل(٣).

وحديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربه عز وجل (إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو بها فعلها كتبها الله عنده عشرة حسنات...)(٤)(٥). أ.هـ

---

(١) سورة مريم آية: ٣٩

(٢) انظر Part3, Saying 77, PP. 202

ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة مريم ٥٢/١٩ (صحيح البخاري بشرحه عمدة القارىء).

(٣) Part 3, Saaying 46, P. 169

ـ أخرجه البخاري في كتاب الايمان، باب الجهاد من الايمان (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري)

(٤) Part 3, Saying 346, P. 156.

ـ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة ١١ / ٣٢٣. (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٥) Divine Word and Prophetic Word in Early Islam, PP. 88 — 91.

وعلى الرغم من اعتراف المستشرق جراهام بأن الأحاديث القدسية لها جدور في عهد الصحابة وتابعيهم، إلا أنه تشكك في صحة نسبتها لله عز وجل عند اتهامه لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزج والخلط بينها وبين الأحاديث النبوية، بل ادعى أن هذه الأحاديث لم تنسب للذات القدسية إلا بعد القرن السادس الهجري، ودليله على ذلك أن هذه الأحاديث لم تلقب بالقدسية إلا في القرن السابع الهجري وما بعده. لقد وردت هذه المزاعم أيضا في مؤلفه المذكور آنفا، تحت عنوان: (الأحاديث القدسية. معضلة في الاسلام) [1] حيث يقول ما ترجمته ما يلي: «لم يرد ذكر لعبارة الحديث القدسي في مجموعات الحديث الأولى لدى المسلمين. وعلى الرغم من وجود بعض الإشارات المبهمة التي تدل على أن بعضا من الأحاديث المروية عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمكن أن تنسب لقائل آخر غير محمد صلى الله عليه وسلم ـ الا أن رواة الحديث من الصحابة والتابعين قد نسبوا كل هذه الأحاديث له ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون غيره.

ولكن بعد خروج الإسلام عن طور البدائية الأولى وتنامية تطوره استطاع بعض المسلمين أن يميزوا بين ما اعتبروه حديثا قدسيا، وما اعتبروه حديثا نبويا، وإن أول وأقدم إسم عرف به هذا النوع من الأحاديث هو الحديث الإلهي، وأول من أبرزه كما زعم المسلمون هو زاهر بن محمد النسيابورى، المتوفي عام ٥٣٣هـ وذلك في مؤلفة (كتاب الأحاديث الالهية)، وعلى الرغم من هذا فلا نستطيع أن نجزم أن الحديث القدسي قد أخذ شكله واسمه في ذلك الوقت لأن المصنف المذكور أعلاه مازال مخطوطا، لم يحقق، ولم يطبع، وعليه فلا نرى إن كان المؤلف هو الذي اختار هذا الاسم، أم أن هذه التسمية من إبتكار تلاميذه، أو من جاء بعدهم، جريا على عادة التلاميذ في تسمية مؤلفات شيوخهم، كما يظهر ذلك في كثير من المخطوطات العربية.

---

(١) المصدر السابق ص 51

وعلى العموم فإنه في نهاية القرن السادس الهجري وبظهور محيي الدين بن العربي (٥٩٩هـ) استقر هذا النوع من الأحاديث، وتميز تحت اسم الأحاديث الإلهية، واستقل عن الحديث النبوي تماما. وبعد مرور قرن تقريبا على وفاة ابن العربي جاء الطيبي (٧٤٣هـ)، وأعطى هذه الأحاديث الاسم الجديد الذي استقر عليه حتى اليوم وهو (الأحاديث القدسية)، ثم بين الفرق بينها وبين القرآن، ولم يتطرق إلى توضيح الفرق بينها وبين الأحاديث النبوية، فظلت الصلة بينها وبين الأحاديث النبوية كسابق عهدها مبهمة».[١].

ولقد ادعى المستشرق جراهام أيضا: أن بعض الأحاديث القدسية منقولة عن اليهود والنصارى، وعن الفلسفة الهلينيقية، وذلك في مؤلفه المذكور آنفا، حيث يقول: «إن بعض الأحاديث القدسية في الإسلام لها جذور ضاربة في القدم، حيث يرجع أصلها إلى الفلسفات والديانات التي كانت سائدة قبل ظهور الإسلام وبخاصة الإسرائيليات، ولقد كان لبعض اليهود الذين اعتنقوا الإسلام أثر في تدعيم المسلمين عن طريق مدهم بالإسرائيليات، كما فعل كعب الأحبار (٣٢هـ)، ووهب بن منبه١١٠هـ).

ومن أمثلة الأحاديث المنقولة عن الفلسفة الهلنيقية والإسرائيليات وما ورد في أناجيل النصارى: الحديث الآتي:

(إن الله عز وحل قال: أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر).[٢]

إن هذا الحديث بعينه ورد في أماكن متفرقة من أسفار العهدين القديم والجديد، كما أنه موجود في أقوال فلاسفة اليونان القديمة.

---

(١) Divine Words and Prophetic word in Early Islam, pp. 57, 58.

(٢) Part 3, Saying 2 , P.117

ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى «يريدون أن يبدلوا كلام الله» ١٣/ ٤٦٥ (صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

فقد جاء في سفر أشعياء قول الرب:(أعددت لعبادي مالا عين رأت، ولا أذن سمعت)[1]. ولقد استعمل بولس نفس هذه العبارات في رسالته الأولى لأهل كورنتس، حيث ورد فيها الآتي: (ما لم تره عي،ن ولا سمعت به اذن، ولا خطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه)[2]. ولقد ورد مثل هذا القول أيضا في إنجيل توماس [3] الذي اعتمدته طائفة الأقباط ضمن الأناجيل المعترف بها عندهم، وفيه: إن عيسى وعد اتباعه بأنه سيجزيهم في الآخرة بما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومما يؤكد أن الأخذ عن اليهود كان شيئا مستساغا لدى المسلمين الحديث الآتي: (جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يامحمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت نواجذه، تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.[4][5]

ولقد ورد هذا الحديث نفسه كحديث نبوي وليس فيه قصة الحبر

---

(١) سفر أشعياء ٦٤: ٤ من الكتاب المقدس العهد الجديد.

(٢) من رسالة بولس الأولى لأهل كورنتس ٢: ١٠ من الكتاب المقدس العهد الجديد: ٢٨٨.

(٣) انجيل توماس لا يأبه به النصارى ولم يعتمد ضمن أسفار العهد الجديد وذلك منذ عام ٣٢٥م وإلى اليوم.

(٤) سورة الزمر آية ٦٧.

(٥) انظر Part 3, Saying 13 B, P. 132

- أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة الزمر باب (وما قدروا الله حق قدره). ٨/٥٥٠ مع بعض الزيادات.

(صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

اليهودي، فأغفل الرواة قصة الحبر، ونسبوا الحديث لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كالآتي:

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقبض الله الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟)[١].

ومن ضمن الأشياء التي اقتبست عن أهل الكتاب وبخاصة النصاري فكرة الحب في الله، والتي وردت في أسفار العهد الجديد في عدة مواضع، ومنها الآتي:

جاء في رسالة بولس الأولى التي وجهها إلى أهل كورنتس الآتي:(من بولس المدعو ليكون رسولا ليسوع المسيح بمشيئة الله... إلي كنيسة الله التي في كورنتس، إلي المقدسين في المسيح يسوع، المدعوين ليكونوا قديسيين مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح، في كل مكان لهم ولنا...)[٢].

كما جاء في رسالة بولس لأهل روميا الأتي: (فاسألكم أيها الأخوة بمراحم الله أن تقربوا أجسادكم ذبيحة... مقدسة مرضية عند الله... فإنه كماأن لنا في جسد واحد أعضاء كثيرة، وليس لجميع الأعضاء عمل واحد، كذلك نحن الكثيرون جسد واحد في المسيح، وكل واحد منا عضو الآخرين... ولتكن المحبة بلا رياء... ليحب بعضكم بعضا حبا أخويا)[٣].

وجاء في انجيل يوحنا الآتي: (اثبتوا فيَّ وأنا فيكم... إن الغصن لا يستطيع أن يأتي بثمر من عنده، إن لم يثبت في الكرمة... أنا الكرمة، وأنتم الأغصان...

(١) Part 3, Saying 13, p. 131
ـ الحديث أخرجه البخاري أيضا في كتاب التفسير، باب (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه)٨/٥٥١
(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري)

(٢) رسالة بولس الأولى لأهل كورنتس ١/٢٢١ من الكتاب المقدس العهد الجديد ١/٢٨٦.

(٣) رسالة بولس لأهل رومية ١٢/ ١ ـ ١٠ من الكتاب المقدس العهد الجديد ١/٢٧٩.

كما أحبني الأب كذلك أنا أحببكم أثبتوا في محبتي.... هذه هي وصيتي: أن يحب بعضكم بعضا كما أحببتكم... إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم، لو كنتم في العالم لكان العالم يحب ما هو له، لكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لأجل هذا يبغضكم العالم)[1].

ولقد أقتبس المسلمون كثيرا من أمثال هذه الأقوال ونسبوها إلى رسولهم تارة، وإلى ربهم تارة أخرى، ومن ذلك الأحاديث التالية:

(..إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي).[2]

وحديث (...إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ).[3]

وحديث (...سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن ربه يقول: المتحابون في الله على منابر من نور، في ظل العرش، يوم لا ظل إلا ظله).[4]

---

(١) انجيل يوحنا ١٥/ ٤ . ١٩ من الكتاب المقدس العهد الجديد ١٨٧/١.

(٢) Part 3,Saying 19, P.141

ـ أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضل الحب في الله ١٢٣/١٦ (من صحيح مسلم بشرح النووي).

(٣) Part 3, Saying 19 a , P. 142

ـ أخرجه الامام مالك في الموطأ. كتاب الشعر باب ١٢.

ـ وأخرجه الامام أحمد بن حنبل في مسنده في عدة مواضع منها ٢٨٦/٤، ٢٢٩/٥.

(٤) Part 3, Saying 196,m P. 144

ـ أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في الحب في الله ٢٣٥/٩،٢٣٦.

ـ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وهناك حديث قدسي لا أرى إلا أنه مأخوذ عن إنجيل متى حيث ورد في الإنجيل ما يلي:

(حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يامباركي أبي، رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم، لأني جعت فأطعمتموني، وعطشت فسقيتموني وكنت غريبا فآويتموني، وعريانا فكسوتموني، ومريضا فعدتموني، ومحبوسا فأتيتم إليّ، حينئذ يجيبه الصديقون قائلين: يارب، متى رأيناك جائعا فأطعمناك، أو عطشانا، فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريبا فآويناك؟ أو عريانا فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم: إنكم كلما فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فبي فعلتموه. حينئذ أيضا للذين عن يساره: اذهبوا عين ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، لأني جعت فلم تعطموني، وعطشت فلم تسقوني، وكنت غريبا فلم تؤوني، وعريانا فلم تكسوني، ومريضا ومحبوسا فلم تزوروني، حينئذ يجيبونه هم أيضا ويقولون: يارب، متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك؟ حينئذ يجيب ويقول لهم: الحق أقول لكم: إنكم كلما لم تفعلوا ذلك بأحد هؤلاء الصغار فبي لم تفعلوه. فيذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي والصديقون إلى الحياة الأبدية»[1].

لقد أخذت هذه القصة بحذافيرها وضمنت في الحديث القدسي كالآتي: (... إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني. قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك

(١) انجيل متى ٢٥/٣٤ .٤٦ من الكتاب المقدس العهد الجديد ٤٨، ٤٩.

عندي؟ يا ابن آدم: استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان لم تسقه، أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي؟)[1].

ومن الأشياء التي إقتبسها المسلمون عن اليهود قصة العبد الصالح الذي تنبأ بقدومه سفر أشعيا، حيث ورد في ذلك السفر مايلي:

هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، قد جعلت روحي عليه، فهو يبدي الحكم للأمم، لا يصيح، ولا يسمع صوته في الشوارع قصبة مرضوضة لا يكسر، وكتانا مدخنا لا يطفأ، يبرز الحكم بحسب الحق. لايني، ولا ينكسر، إلى أن يجعل الحكم في الأرض، فلشريعته تنتظر الأمم.. أنا الرب، دعوتك لأجل البر، وأخذت بيدك وحفظتك، وجعلتك عهدا للشعب ونورا للأمم، لكي تفتح العيون العمياء وتخرج الأسير من السجن، والجالسين في الظلمة من بيت الحبس)[2].

ولقد اقتبس المسلمون هذه القصة وضمنوها أحاديث رسولهم مدعين أن الأوصاف الواردة بها لا تنطبق إلا على رسولهم دون غيره من البشر وذلك كما يبدو من الحديث التالي: (عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن هذه الآية التي في القرآن ﴿**يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا**﴾، قال في التوراة: ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين. أنت عبدي ورسولي. سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه حتى يقيم به**

(١) Part 3,m Saying 54, P. 179

ـ أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة المريض ١٦/١٢٥، ١٢٦.

(من صحيح مسلم بشرح النووي).

(٢) سفر اشعياء ٤٢، ١ . ٧ من الكتاب المقدس العهد القديم ٢/٣٩٤.

الـملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله الا الله، فيفتح به أعينًا عمياً، وآذانا صما، وقلوبا غلفا[1][2]. أ. هـ.

٢ ـ معنى الحديث القدسي ومنزلته الشرعية، والفرق بينه وبين القرآن والأحاديث النبوية.

أولا ـــ معنى الحديث القدسي:

التقديس كما جاء في لسان العرب هو: «**تنزيه الله تعالى... وهو المتقدس، القدوس المقدس، ويقال: القدوس فعول من القدس، وهو الطهارة... قال الأزهري:**

لم يجيء من صفات الله تعالى غير القدوس، وهو الطاهر المنزه من العيوب والنقائص، وفعول بالضم من أبنية المبالغة، وقد تفتح القاف وليس بالكثير. ونقدس أي تطهر، وفي التنزيل: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[3] قال الزجاج: (معنى نقدس لك: أي نطهر أنفسنا لك[4].

وجاء في النهاية: «القدوس هو الطاهر المنزه عن العيوب. وفعول من أبنية المبالغة. وقد تكرر ذكر التقديس في الحديث، والمراد التطهير. ومنه الأرض المقدسة، قيل: هي الشام وفلسطين، وسمي بيت المقدس، لأنه الموضع الذي يتقدس يه من الذنوب. يقال: بيت المقدس: والبيت المقدس، وبيت القدس بضم الدال وسكونها:

---

(١) Part 3, Saying 78, P. 203

ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة الفتح باب قول الله تعالى: (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) ٥٨٥/٨.

(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) Divine Word and Prophetic Word in Early Islam pp. 88 - 110.

(٣) سورة البقرة آية: ٣٠

(٤) لسان العرب ٤٦٧/١٣.

ومنه الحديث: إن روح القدس نفث في روعي: يعني جبريل عليه السلام لأنه خلق من طهارة[١].

فالحديث القدسي إذن: هو كل حديث أضيف الى الذات المقدسة، أي كل ما أضافه النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث إلى الله جل وعلا. ويطلق على الأحاديث القدسية أيضا إسم الأحاديث الإلهية. والإله كما جاء في لسان العرب هو: «الله عز وجل، وكل ما أُتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه، والجمع آلهة، والآلهة الأصنام، سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، واسماؤهم تتبع اعتقاداتهم، لا ما عليه الشيء في نفسه»[٢].

وجاء في الفائق شرح معنى إلٰهانية وإلٰهية كالآتي: «إنها نسبة إسم الله تعالي، الا أنه وقع فيه تغيير من تغيرات النسب واقتضاب صيغة، ونظرها الرجولية في النسبة إلى الرجل والقياس إليهة ورجليه كالمهينية والرهبانية في النسبة إلى المهيمن والرهبان»[٣].

ثانيا: المنزلة الشرعية للحديث القدسي:

إن الأحاديث القدسية تعتبر من السنة القولية للنبي صلى الله عليه وسلم لأنها أخبار من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الله عز وجل. والسنة النبوية الشريفة حجة في الشرع وهي واجبة الاتباع كما هو معروف، وتدلنا على ذلك الآيات القرآنية التي تحث على طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ومنها: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[٤]،ومنها: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ..)[٥]، ومنها: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٦٢/١. أنظر أيضا الفائق في غريب الحديث ٥٥/١.
(٢) لسان العرب ٤٦٧/١٣.
(٣) الفائق في غريب الحديث ٥٥/١.
(٤) سورة آل عمران آية: ١٣٢.
(٥) سورة النساء آية: ٦٩.

فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(١) ومنها: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ﴾(٢)، ومنها: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾(٣)، ومنها: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾(٤)، ومنها: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾(٥)، ومنها: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(٦)(٧).

وهناك أحاديث نبوية كثيرة تدلنا أيضا على حجية السنة ووجوب إتباعها تأخذ منها على سبيل المثال الأحاديث الآتية:

أخرج الترمذي بسنده من حديث العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى إختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا بالنواجذ»(٨).

كما أخرج الترمذي بسنده من حديث أبي رافع وغيره، رفعه، قال: لا «ألفيّن أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا

---

(١) سورة النسا آية: ٨٠.

(٢) سورة الأنفال آية: ٢٤.

(٣) سورة النور آية: ٥٦.

(٤) سورة النور آية: ٦٣.

(٥) سورة النجم آية: ٣،٤.

(٦) سورة آل عمران آية: ١٦٤ .

(٧) قال الشافعي: «سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم» الرسالة: ٧٨، ٧٩.

(٨) أخرجه الترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ١٤٣/١٠، ١٤٤ قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. (من عارضه الأحوذي).

أدري ما وجدنا في كتاب الله إتبعناه»[1].

كما أخرج الترمذي أيضا من حديث المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكيء على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالا استطلناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه، وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله»[2].

ولقد أخرج البخاري أيضا بسنده من حديث علقمة قال: «لعن عبدالله، والواشحات، والمتنمصات، والمتلفجات للحسن، المغيرات خلق الله. فقالت أم يعقوب: ما هذا؟ قال عبدالله: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي كتاب الله، قالت: والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته، فقال: والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[3][4]..

نخلص من هذا إلى أن السنة بأنواعها حجة في الشرع واجبة الاتباع لا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في دين الإسلام، كما قال الشوكاني: (إن ثبوت حجية السنة المطهرة وإستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك الا من لاحظ له في دين الإسلام)[5].

(١) أخرجه الترمذي في أبواب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم ١٠/١٣٢ قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.(من عارضة الأحوذي).

(٢) اخرجه الترمذي في أبواب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم، ١٠/١٣٣ ، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه (عارضة الأحوذي).

(٣) سورة الحشر آية: ٧

(٤) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب المتنمصات ١٠/٣٧٧.
(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٥) إرشاد الفحول: ٢٣.

ثالثا: الفرق بين الحديث القدسي والقرآن

لقد أفاض الإمام ابن حجر الهيثمي في توضيح الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي، وذلك في مؤلفه «فتح المبين لشرح الأربعين» حيث جاء فيه عن هذا الموضوع مايلي: «فائدة يعم نفعها ويعظم وقعها في الفرق بين الوحي المتلو وهو القرآن، والوحي المروي عنه صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل، وهو ما ورد من الأحاديث الإلهية، وتسمى القدسية، وهي أكثر من مائة.. اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام ثلاثة، أولها وهو اشرفها: القرآن لتميّزه عن البقية بإعجازه، وكونه معجزة باقية على ممر الدهر محفوظة من التغيير والتبديل، وبحرمة مسه للمحدث، وتلاوته لنحو الجنب، وروايته بالمعنى، وبتعيينه في الصلاة، وبتسميته قرآنا، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات، وبامتناع بيعه في رواية عند أحمد، وكرامته عندنا، وبتسمية الجملة منه آية وسورة. وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبت لها شيء من ذلك، فيحوز مسه، وروايته بالمعنى، ولا يجزيء في الصلاة، بل يبطلها، ولا يمتنع بيعه اتفاقا أيضا.

ثانيها: كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل تغييرها وتبديلها.

ثالثا: بقية الأحاديث القدسية وهي ما نقل إلينا آحاداً عنه صلى الله عليه وسلم مع إسناده لها عن ربه، فهي من كلامه تعالى، فتضاف إليه، وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء، لأنه المتكلم فيها أولا، وقد تضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه المخبر بها عن الله تعالى، بخلاف القرآن، فإنه لا يضاف إلا إليه تعالى، فيقال فيه: قال الله تعالى، وفيها ـ أي الأحاديث القدسية ـ قال رسول الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه، واختلف في بقية السنة، هل كله بوحي أولا، وآية(﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[1] تؤيد الأول، ومن ثم قال صلى الله

(١) سورة النجم آية: ٣

عليه وسلم: ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه.

ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية في كيفية من كيفيات الوحي، بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته، كرؤيا النوم، والإلقاء في الروع، وعلى لسان الملك. ولروايتها صيغتان: إحداهما أن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه، وهي عبارة السلف، وثانيهما: أن يقول قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعنى واحد[1] أ. هـ .».

وقال الشيخ محمد المدني: «إن السبب في نسبتها إلى القدس: أن معناها مضاف إلى الله وحده.. فهي ما أخبر الله سبحانه به نبيه بالإلهام أو في المنام فأخبر به صلى الله عليه وسلم بعبارة نفسه ـ والقرآن مفضل عليه، لأن لفظه منزل أيضا... وتتنزل على قارئه الرحمة: إن الحديث القدسي ما يرويه صدر الرواة وبدر الثقات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات عن الله تعالي. تارة بواسطة جبريل عليه السلام وتارة بالوحي والالهام والمنام، مفوضا اليه التعبير بأي عبارة شاء وهي تغاير القرآن بأن نزوله لا يكون الا بواسطة روح الله الأمين، ويكون مقيدا باللفظ المنزل من اللوح المحفوظ على وجه اليقين، ثم يكون نقله متواتراً قطعياً في كل طبقة..»[2].

رابعا: الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي

لقد سبق أن وضحنا معنى الحديث القدسي، أما الحديث النبوي الشريف فهو: ما نسب إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقيه أو خليقة. ومثال أقواله صلى الله عليه وسلم، الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه

(١) فتح المبين لشرح الأربعين: ٢٠٠، ٢٠١.
(٢) مقدمة الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية:

وسلم قال: «فوا الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»[1].

ومثال فعله صلى الله عليه وسلم ما رواه بعض الصحابة رضوان الله عليهم عن مشاهداتهم في كيفية وضوئه، وأدائه للصلاة بهيئاتها وأركانها وغيره، من ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث عطاء بن يسار، عن ابن عباس رضى الله عنهما: أنه توضأ فغسل وجهه، وأخذ غرفة من ماء فمضمض بها واستنشق، ثم أخذ غرفة من ماء فجعل بها هكذا، أضافها إلى يده الأخرى، فغسل بها وجهه، ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى، ثم اخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى، ثم برأسه، ثم أخذ غرفة من ماء فرش على رجله اليمنى حتى غسلها، ثم أخذ غرفة أخرى فغسل بها رجله يعني اليسرى، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ»[2].

والحديث أخرجه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلى حتى نأتيها، وقال بعضهم: بلى نصلي، لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم»[3].

ومن السنة التقريرية أيضا: الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث خالد بن الوليد رضى الله عنه أنه دخل على ميمونه زوجة النبي ـ صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان١/١٤٢ (من عمدة القاري).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب غسل الوجه باليدين من غرفة واحدة ٢/٢٦٢ (من عمدة القاري).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم ١٧/١٨٨، ١٨٩.
(من عمدة القاري)

ـ وهى خالته وخالة ابن عباس ـ فوجد عندها ضبا محنوذا، قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد، فقدمت الضب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قلما يقدم إليه طعام حتى يحدث به ويسمى له، فأهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده إلى الضب فقالت امرأة من النسوة الحضور: أخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدمتن له، قلن: هو الضب يارسول الله، فرفع رسول الله عليه وسلم يده، فقال خالد بن الوليد: أحرام الضب يارسول الله؟ قال: لا، ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه، قال خالد: فاجررته فأكلته، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر فلم ينهني».[1]

أما الصفات الخلقية فهى الأحاديث التي فيها وصف لأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كرم وجود وحسن تصرف وتأدب وغير ذلك. ومن أمثلة ذلك: الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابا ولافحاشا ولا لعانا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: ماله ترب[2] جبينه»[3].

ومن الأحاديث التي ذكرت فيها صفات رسول الله صلى الله وعليه وسلم الخليقة: الحديث الذي أخرجه البخاري أيضا بسنده من حديث ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: سمعت أنس أبن مالك يصف النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بأبيض أمهق، ولا آدم ليس بجعد قطط، ولا سبط رجل، أنزل عليه وهو ابن أربعين، فلبث بمكة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة الضب ٩٩/١٣، ١٠٠ (من صحيح مسلم بشرح النووي).

(٢) قال الخطابي: هذا الدعاء يحتمل وجهين الأول: إنه يخرج لوجهه، فيصيب التراب جبينه. والآخر أن يكون دعاء له بالطاعة، ليصلي، فيتترب جبينه.
(من عمدة القاري ١١٧/٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ١١٦/٢٢ (من عمدة القاري).

عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشر سنين، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. قال ربيعة: فرأيت شعرا من شعره فاذا هو أحمر فسألت، فقيل: أحمر من الطيب»[1]

أما فيما يختص بالفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي، فقد لخص ذلك الدكتور عجاج الخطيب فيما يلي:

«والفرق بين الحديث القدسي والأحاديث النبوية الأخرى، إن هذه نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكايتها عنه، وأما الحديث القدسي فنسبته إلى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم، يحكيه ويرويه عنه عز وجل، ولذلك قيدت بالقدس أو الإله، فقيل فيها: أحاديث قدسية، وأحاديث إلاهيه نسبة إلى الذات العلية، وقيدت الأخرى بالنبي صلى الله عليه وسلم فقيل فيها: أحاديث نبوية نسبة إلى الرسول عليه السلام، وإن كانت جميعها صادرة بوحي من الله عز وجل، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[2]. وقال صلى الله علهي وسلم: «الا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[3].

٣ ـ موضوعات الأحاديث القدسية

يغلب على الأحاديث القدسية الترغيب والترهيب وذلك بهدف ترقيق القلوب، وتقوية صلة الإنسان بربه عن طريق المواعظ، والإخبار عن الأمور الغيبية وما أعده الله لعبادة الصالحين في جنات النعيم، وتحذير الطالحين منهم والعاصين المتمردين من عذاب الجحيم. جاء في مقدمة المحققين لكتاب (المقاصد

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ١٦/١٠٤، ١٠٥ (من عمدة القاري).

(٢) سورة النجم آية: ٣.

(٣) أصول الحديث: علومه ومصطلحه: ٣٠.

السنية في الأحاديث الالهية) ما يلي: «إن أول ما يصادفنا في الأحاديث القدسية أنها لم تكن مسوقة للتشريع وبيان الأحكام، بل هي في عمومها خطاب للوجدان وترقيق للقلب، وتهذيب للروح، توقظ في الإنسان مشاعر الخير، وتحرك في داخله بواعث الاستقامة والصلاح فيقبل على ممارسة العبادة، وأداء الفرائض والنوافل بنفس راغبة رضية، ويمسك عن الحرام، وينأى عن مزالقة بإرادة صلبة أبية يحدوه الأمل والرجاء فيما عند الله من ثواب، ويمنعه الخوف والخشية من عذاب الله عن الوقوع في المعاصي والآثام. فهي على هذا الأساس تسهم في إيقاد جذوة الإيمان، وإيجاد التربة الصالحة التي تستقبل أحوال الشريعة وفروعها فتثمر فيها وتورق، وهي في الوقت نفسه تقوم بمهمة الصيانة الدائمة للمذخور الديني داخل النفس، وحمايته من التبدد والنكوص، وتبقي عليه متوهجا، متوقدا، متواصل الثمار والعطاء»[١].

لقد وضح الشيخ محمود أمين النووي أيضا أبواب الحديث القدسي وأغراضه في تقديمه لكتاب (الاتجاهات السنية في الأحاديث القدسية) وفيه ما يلي:

«حينما نبوب الحديث القدسي ونقسمه الى مواضيع مختلفة وأصناف متعددة، نجد أنه في جملته قل أن يتعرض من الأحكام الفقهية لغير المندوبات وما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من النوافل ترغيبا فيها، وحثا عليها، وإغراء يحفز النفس المؤمنة، وإن كان فيه بعض ما يتصل بالفرائض والواجبات، فعلى سبيل الترغيب العام، والإغراء بالإقبال والإقدام كحديث: (ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب الى ما افترضته عليه)[٢]، على أنه انتقل بعد ذلك إلى بيان التقرب بالنوافل

(١) المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية: ٢٩، ٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع ١١/٣٤٠ . ٣٤١.
(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

وأثره في قرب الله الى عبده كما يحث على صلاة الضحى، ويبين مكانتها، ويدعو الى الصدقات، ويهز النفوس إليها... وأحيانا بتناول الواجبات في سياق عام للسنن والمندوب كحديث[1] الصوم. كما أنه بجانب ذلك يحذر من المحرمات ويبين آثارها ونتائجها السيئة في الدنيا والأخرة... وتتعرض الأحاديث القدسية كثيرا للتقريب بين العبد وربه وفتح باب الرجاء في وجهه ببيان فضل الله وسعة رحمته وأنها سبقت غضبه... فهى على الجملة ترغيب وترهيب، وإصلاح وتهذيب... على أن الحديث النبوي يشترك معه في ذلك، ولكن الحديث القدسي لايشترك مع الحديث النبوي في باب أحكام الطهارة، وطريق إزالة النجاسة، وطريق الوضوء ونواقضه، والمسح على الخفين، ولا في بيان شروط الغسل وفرائضه وسننه، أو التيمم، أو الحيض وأحواله. ولا في صفة الصلاة وأحوالها، كما هو واضح بين للدارس الممارس. وإذا كان هذا الشأن في العبادات وأركان الإسلام فما بالك بشؤون المعاملات من البيع، وما يتحقق به، والخيار في أمره، واختلاف المتابعين، وما إلى ذلك من شؤون الدنيا التي تكفل الفقه الإسلامي ببيانها، والفصل بين الناس في أمرها، تحقيقا للعدالة، وحرصا على استقامة الخلافة في أرض الله سبحانه. ولنقس على ذلك ما أشبهه من الفروع الفقهية.

ولكن الحديث القدسي - كما قدمت في مواضيع الدعوة إلى الله - هو مادة الوعظ... وما يتصل، به مما يهذب النفس، ويرتفع بالمستوى الإنساني، ويكمش الإنسان عن الرعونات والاسترسال فيها، ليصلح القلب، واذا صلح القلب هان كل شيء، وتيسر العمل بالفقه وتحقق لصاحبه الورع عن المحرمات والكف عن الشبهات.

ومن يطلع على هذه الأحاديث وغيرها يجد أن من بدأ عمله بالصلاة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه ١٣/ ٥١٢ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

وختمه بالصلاة كفاه الله سبحانه ما بين ذلك، وإن الله سبحانه قسم الفاتحة بينه وبين عبده نصفين، في عرض عجيب وتصوير رفيع. ونجد أن من ذكر الله في نفسه ذكره الله عز وجل في نفسه، ومن ذكره في ملأ ذكره الله سبحانه في ملأ خير منه. ونجد أن الدعاء في الجزء الأخير من الليل له كذا وكذا، وان الاستغفار له كذا وكذا، وأن الخلق الحسن المتمثل في العفو والصفح والإيثار والإحسان يثمر كذلك ويحصل كذا.. مما يحتذب النفوس ويقتادها إلى الخير والصراط المستقيم، ويحول دون أن يكون صاحبها من المبعدين أصحاب الجحيم.

ولما فيها من نفاسة الموضوعات ودعوتها إلى أمهات الفضائل والمبرات، أوحى الله سبحانه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بها، وأوحى إلى نبيه إن يرتفع بشأنها بنسبتها إليه سبحانه ١ هـ[1].

٤ ـ إفراد الأحاديث القدسية بالتصنيف

لقد عامل المحدثون وغيرهم من علماء المسلمين الأحاديث النبوية الشريفة وطبقوا عليها نفس المعايير التي طبقت على الأحاديث النبوية من حيث الحفظ والتدوين والتوثيق. فالمحدثون كما هو معروف من تاريخ علم الرواية والدراية كانوا قد اتخذوا وسائل دقيقة لحماية السنة النبوية الشريفة، تمتاز بالضبط والإحكام والإتقان، فهم الذين وضعوا أسس وقواعد علم مصطلح الحديث وطبقوها عند تحملهم للحديث وأدائه فكانوا يتحرون عن أسانيد الأحاديث ومتونها، ولا يقبلون منها الا ما صح سنده واستقام متنه. وفي ذلك يقول الإمام مسلم رحمه الله: «واعلم وفقك الله تعالى: أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقات الناقلين لها من المتهمين، أن لا يروي منها الا ما عرف صحة مخارجه، والستارة، في ناقليه وأن

(١) الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية: ٥ ـ ٧.

يتقي منها ما كان عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع. والدليل على أن الذي قلنا من هذا هو اللازم دون ما خالفه: قول الله جل ذكره: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[1]، وقال جل ثناؤه: ﴿ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾[3]، فدل بما ذكرنا من هذه الآي أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأن شهادة غير العدل مردودة، والخبر وإن فارق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه فقد اجتمعا في أعظم معانيهما، إذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم كما أن شهادته مردودة، عند جميعهم. ودلت السنة على نفي رواية المنكر من الأخبار كنحو دلالة القرآن على نفي خبر الفاسق وهو الأثر[4] المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[5].

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الأخذ عن الضعفاء وأهل البدع والمجروحين كما جاء ذلك في الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام مسلم بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«سيكون في آخر أمتي أُناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم

(١) سورة الحجرات آية: ٦.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٨٢.

(٣) سورة الطلاق آية: ٢.

(٤) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة لفظا ومعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رواه بضعة وسبعون صحابيا، والخبر المتواتر في اصطلاح المحدثين هو ما رواه عدد كثير تميل العادة تواطأهم على الكذب. والمتواتر يفيد العلم الضروري الذي يضطر الإنسان الى التصديق به فلا حاجة الى البحث عن أحوال رواته. أنظر تدريب الراوي ١٧٧/٢.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٠/١ . ٦٢.

فإياكم وإياهم»[1] وأخرج مسلم أيضا في صحيحة عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا ولا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم، ولا يفتنوكم»[2].

واستجابة للتوجهات النبوية الكريمة في هذا الشأن صار المحدثون لا يأخذون الحديث إلا ممن هو أهل لتحمله وأدائه، وفي ذلك يقول ابو الزناد يحدث عن أبيه أنه قال: «أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث يقال: ليس من أهله»[3].

ومن خلال تتبع أحوال الرواة درس المحدثون سيرهم وتواريخهم وبينوا أحوالهم من صدق أو كذب، ومن ثم قعدوا قواعد دقيقة بينوا فيها نوعية الرواة الذين يؤخد حديثهم ممن اشتهر بالصدق والأمانة، والصيانة والورع والتقوى، ونوعية الرواة الذين لا يؤخذ حديثهم، ممن اشتهر بالكذب والفسق، والزندقة وسوء الحفظ، والغفلة، وغير ذلك من الصفات الذميمة. ولقد توقف بعض المحدثين في قبول رواية بعض الرواة الذين أُختلف في تجريحهم وتعديلهم. كما أنهم ردوا رواية[4] من اختلط من الثقات وقبلوا روايته قبل الإختلاط، وما شكوا في أنه مروي قبل الإختلاط أو بعده ردوه أيضا، وردوا كذلك رواية من خالف الثقات، كالشاذ والمنكر. كما ردوا رواية من ساء حفظهم، وضعفت ذاكرتهم، وفحش غلطهم وغير ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة باب النهي عن الرواية عن الضعفاء ٧٨/١.

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء ٧٨/١.

(٣) أخرجه مسلم في المقدمة،باب بيان أن الإسناد من الدين ٨٦/١، ٨٧.
(من صحيح مسلم بشرح النووي).

(٤) الأختلاط لغة هو فساد العقل كما جاء في المعجم الوسيط ٢٥٠/١ وفي اصطلاح المحدثين هو: عدم انتظام الأقوال بسبب خرف أو عمى أو احتراق كتب أو غيرها.

لقد أثمرت جهود المحدثين وأينعت وجاءت بنتائج طيبة في هذا الشأن تمثلت في علم الحديث دراية وصيانته، رواية وتوثيقاً في المصنفات الكبرى خلال القرن الثالث الهجري وما بعده، وطبق المحدثون الشروط المطلوبة في الراوي والمروي عند إفراد الحديث النبوي بالتصنيف، وعرفوا بذلك ما يدخل الأخبار من علل وإضطراب وشذوذ وغيرها.

ولقد طبق المحدثون نفس هذه القواعد على الأحاديث القدسية التي كانوا قد ضمنوها في صحفهم ومسانيدهم ومصنفاتهم، منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى مرحلة إفراد الأحاديث القدسية بالتصنيف، في بداية القرن السادس الهجري، كما ورد ذلك في مقدمة كتاب (المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية)..

ظهور المصنفات التي أفردت للحديث القدسي

لقد سبق أن بينا أن الحديث القدسي ما هو إلا نوع من أنواع السنة القولية، ولقد بينا أيضا أن السنة الصحيحة حجة في الشرع. وبما أن المحدثين كانوا قد عاملوا الحديث القدسي معاملة الحديث النبوي من حيث الجمع والتوثيق والتحمل والأداء، فإن حكم الحديث القدسي الصحيح هو القبول مع وجوب العمل بما جاء فيه ومشروعية الاحتجاج به.

ومما يدل على مزيد عناية العلماء بالأحاديث القدسية أنهم قد أفردوها بالتأليف والتصنيف، وخرجوها من بطون الكتب، كالمسانيد والموطأ وكتب السنن والجوامع، ولعل بداية إفراد الأحاديث القدسية بالتصنيف كان في أوائل القرن السادس الهجري، كما جاء ذلك في مقدمة كتاب (المقاصد السنية في الأحاديث الألهية) حيث أورد المحققان أسماء العلماء الذين صنفوا في هذا المجال ومنهم:

١ ـ المحدث زاهر بن طاهر بن محمد النيسابوري، محدث نيسابور في

عصره، المتوفى سنة ٥٣٣هـ... ذكر الحافظ ابن كثير أنه جمع في الأحاديث الإلهية مصنفا.

٢ - الحافظ أبو الحسن علي بن المفضل بن علي بن علي اللخمي المقدسي، وكان من فقهاء المالكية المشهورين بالاسكندرية. ذكر الكتاني[١] أنه جمع أربعين حديثا تيمنا بحديث «من حفظ على أمتي أربعين حديثا[٢]...» توفي سنة ٦١١هـ.

٣ - الصوفي المشهور أبو بكر محمد بن علي بن محمد محمد العربي الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحي الدين بن عربي ولد في مرسية بالأندلس، ثم ترحل واستقر به المقام في دمشق وتوفي فيها سنة ٦٣٨هـ. له شطحات صوفية معروفة، وفي كتبه ما يدل على القول بوحدة الوجود، من كتبه «مشكاة الأنوار فيما روى عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار» جمعها على ثلاث مراحل، بدأها بمكة حيث جمع منها أربعين حديثا، ثم اتبعها بأربعين أخرى، ثم أردفها بواحد وعشرين. والكتاب مطبوع في حلب منذ ثلاثين عاما.

٤ - الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد، المعروف بضياء الدين المقدسي، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ. كان عالما بالحديث والتاريخ. ولد وتوفى بدمشق، وبنى فيها مدرسة دار الحديث، ومن كتبه«الأحاديث المختارة» وذكر الحافظ ابن كثير أنه ممن أفرد الأحاديث القدسية في مصنف خاص.

٥ - المحدث أبو القاسم علي بن بلبان، المتوفي سنة ٦٨٤هـ صاحب كتاب المقاصد السنية في الأحاديث الالهية «وقد جمع فيه مائة حديث قدسي

(١) جاء في الرسالة المستطرفة إن اسم المصنف: «الأربعين الإلهية» أنظر الرسالة المستطرفة: ٦٠.

(٢) قال الامام النووي: اتفق الحافظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه. انظر مقدمة كتاب «الأربعين النووية وشرحها».

من مسموعاته ببغداد ودمشق والقاهرة ومصر والاسكندرية.

٦ ـ المحدث علي بن محمد بن سلطان، المشهور بملا على القاري الهروي، فقيه حنفي. سكن مكة وتوفي فيها سنة ١٠١٤هـ له مؤلفات كثيرة... وقد جمع رسالة حوت أربعين حديثا قدسيا وهي مطبوعة في حلب.

٧ ـ المحدث عبدالرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري، المتوفي سنة ١٠٣٥هـ. جمع قرابة ثمانين ومائة حديث قدسي وسماها «الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية»... والأحاديث في هذا الكتاب المطبوع مرتبة على حروف المعجم، ومعزوة إلى مصادرها الأصلية مع حذف الأسانيد.

٨ ـ العالم الصوفي عبدالغني بن اسماعيل بن عبدالغني النابلسي، كان كثير الترحال، ولد في دمشق وتوفي بها سنة ١١٤٣ هـ... له كتاب جمع فيه عددا من الأحاديث القدسية والكتاب مطبوع في القاهرة ومتداول.

٩ ـ العالم محمد بن محمود بن صالح بنُ حسن الطربزوني. فقيه حنفي توفي سنة ١٢٠٠هـ له مؤلفات عديدة منها كتاب «الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية» جمع فيه ثلاثة وستين وثمانمائة حديث قدسي مرتبة على حروف المعجم مع عزوها إلى مصادرها الأساسية وحذف الأسانيد... وقد اشتملت على أحاديث فيها الصحيح والضعيف والمنكر والموضوع وربما نبّه المؤلف الى ذلك عقب إيراده الحديث.

١٠ ـ كما قام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة بجمع اربعمائة حديث قدسي من الكتب الستة والموطأ، مرتبة حسب الموضوعات، مع ملاحظة أن هذا العدد يشمل المكرر منها الذي اختلفت روايته، أو تغير فيه اسم الصحابي الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم،

والاعتماد في شروحها على ما كتبه القسطلاني في شرحه للبخاري، والنووي في شرحه لصحيح مسلم، والكتاب مطبوع في جزأين ضمن مجلد واحد ومتداول[1] أ هـ

ومما سبق يتضح لنا بطلان ما ادعاه جراهام من أن الأحاديث القدسية لم تنسب للذات الالهية إلا في القرن السادس الهجري وما بعده، لأن المحدثين قبل القرن السادس الهجري كانوا يعرفون الأحاديث القدسية: حق المعرفة، فهي موجودة في مصنفات الحديث بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كالأحاديث النبوية تماما، وبجانب ذلك فإن شروح المحدثين للأحاديث القدسية لتدل على فهم واحاطة تامة لمعانيها ونسبتها والغرض منها.

ومما يدلنا على أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفون نسبتها لله جل وعلا ويشيرون إلى ذلك بصريح العبارة ما أورده الإمام البخاري في ترجمته لباب في كتاب العلم حيث جاء فيه ما يلي: «عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه. وقال أنس: عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل. وقال أبو هريرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم: يرويه عن ربكم عز وجل»[1].

٥ ـ تحقيق وشرح بعض الأحاديث القدسية التي طعن فيها المستشرق جراهام: والرد على افتراءاته:

لقد طعن المستشرق جراهام في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدعيا أنهم كانوا ينسبون الحديث الواحد مرة لله عز وجل، وأخرى لرسول الله صلى لله عليه وسلم، واستشهد على ذلك بأحاديث صحيحة وردت في كتب السنة منسوبة إلى الحق عز وجل مرة، ووردت منسوبة إلى النبى صلى الله عليه

(١) انظر الباب الرابع من كتاب العلم ١٤٤/١.
(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

وسلم مرات أخرى. وسوف أقوم فيما يلي بإيراد هذه الآحاديث المشار إليها وأعمل على تخريجها وشرحها، وبيان أسباب نسبتها مرة إلى الحق عز وجل ومرات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أولا: لقد ورد نص الحديث الأول الذي استشهد به المستشرق جراهام لتدعيم إفتراءاته منسوبا إلى رسول الله صلى الله عليه، كما أخرجه الإمام مسلم بسنده من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»[١].

ومن حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يانبي الله، أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وان الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه».[٢]

كما جاء في بعض طرق حديث عائشة رضى الله عنهاالآتي: «إذا شخص البصر حشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع، فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».[٢]

---

(١)، (٢) أخرجهما مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحل الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ٩/١٧.
(من صحيح مسلم بشرح النووي)
والحديثان مخرجان عند الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه ٧٦/٤ وحكم على كل منهما بأنه حسن صحيح (من تحفة الأحوذي).
ـ وأخرجها البخاري أيضا في كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٣٥٧/١١
(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ١٠/١٧، ١١
(من صحيح مسلم بشرح النووي).

ولقد أورد الإمام النووي في شرحه للحديث ما يلي: ومعنى الحديث أن الكراهية المعتبرة هي التي تكون عند النزوع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر ،إليه وما أعد له، عند ذلك فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله، لينقلوا إلى ما أعد لهم، ويحب الله لقاءهم، أي: فيجزل لهم العطاء والكرامة.

وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره الله لقاءهم: أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك بهم. وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم، وليس معنى الحديث أن سبب كراهة الله تعالى لقاءهم كراهتهم ذلك، ولا أن حبه لقاء الآخرين حبهم، ذلك بل هو صفة لهم»[(١)].

لقد نقل الكرماني أيضا آراء بعض العلماء في الحديث ننقل منها ما يلي: «قال الخطابي محبة اللقاء إيثار العبد الآخرة على الدنيا، ولا يحب طول القيام فيها لكن يستعد للارتحال عنها. واللقاء على وجوه: منها الرؤية، ومنها البعث، كقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾[(٢)]: أي البعث، ومنها الموت كقوله: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ﴾[(٣)]. وقال ابن الأثير: المراد باللقاء المصير إلى الدار الآخرة، وطلب ما عند الله، ليس الغرض به الموت، لأن كلا يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله، ومحبة الله لقاء عبده إرادة الخير له، وإنعامه عليه»[(٤)].

ولقد ورد نفس الحديث أيضا في كتب السنة الصحيحة منسوبا إلى الحق عز وجل، حيث أخرجه البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن

(١) شرح النووي بصحيح مسلم ٩/١٧ . ١١.
(٢) سورة الأنعام آية: ٣١.
(٣) سورة العنكبوت آية: ٥
(٤) إرشاد الساري ٩/٢٩٥.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه»[1]

وليس هناك تعارض ولا أضطراب - كما أدعى جراهام - حول نسبة هذا الحديث إلى الحق عز وجل مرة ونسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات أخرى، لأن أحاديث الرسول الواردة أعلاه هي في حقيقة الأمر شروح وتوضيحات للمعنى المقصود من هذا الحديث القدسي، الذي ربما أشكل معناه على الأفهام كما ظهر ذلك من قول السيدة عائشة رضى الله عنها: «يانبي الله اكراهية الموت؟ فكلنا يكره الموت» وعليه فقد عمد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زيادة الأمر إيضاحا عن طريق الأحاديث التي ذكرناها آنفا، وبجانب ذلك فإنه من الضروري مراعاة أن الأحاديث القدسية عادة ما تندمج في الأحاديث النبوية، لأن كلا النوعين مضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ومصاغ بألفاظه كما يوضح لنا ذلك الشيخ محمد أمين النووي في تقديمه لكتاب «الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية» حيث قال: «والحديث القدسي يندمج في الحديث النبوي لأن الكل مضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم تارة يضيفه إلى الله عز وجل، فيسمى حديثا قدسيا، وتارة لا يضيفه إليه فيسمى حديثا بإطلاق، ولهذا يورده الرواة وائمة الحديث بين الأحاديث النبوية في الجوامع والمسانيد وغيرها من كتب السنة المطهرة.... كما أنه ليست مكانة الحديث القدسي بامتيازه في الأسلوب، ولا تفرده في فصاحة التراكيب، فإن التحقيق أنه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، أوحى الله سبحانه إليه بمعناة كالحديث النبوي، فهو يشترك معه في أن كلا منهما في أرقى نمط يصدر عن البشر، لأنه صدر من أفصح العرب، ومن أوتى جوامع الكلم...يمكن القول في الجملة بأن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ١٣/ ٤٦٦ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

في شرف موضوعات الأحاديث القدسية، وانفعال الذات النبوية عند عرضها وإلقائها ما يجعل له تأنقا خاصا يتناسب مع شرف موضوعاتها، فإن المعنى الرفيع يتطلب أسلوبا يناسبه، وألفاظا تجانسه»[1].

فالكل إذن وحي من الله، الا أن الحديث القدسي هو الذي يضيفه الرسول صلى الله عليه وسلم لله عز وجل بألفاظ معينة يعرفها المسلمون حق المعرفة، أو بالفاظ يعلم المخاطب من سياقها أن الحديث من كلام الله جل وعز مثل: ﴿**ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي**﴾، فيستحيل أن يخطر ببال الصحابة رضوان الله عليهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للخلق ياعبادي، وبخاصة أن في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تحذيرا شديدا وتقريعا وتوبيخا لمن يؤلهون البشر أو يشركون بالله ما لم ينزل به سلطانا، ومن أمثلة ذلك أن الله عز وجل قد بين فساد عقيدة اليهود والنصارى عند اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم آلهة من دون الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.[2]

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الصحابة وحذر المسلمين من المبالغة في إطرائه وتعظيمه، كما ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله».[3]

---

(١) الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية: ٣ . ٥.

(٢) سورة التوبة آية: ٣٠، ٣١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم..) ٦/ ٤٧٨.

(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

ثانيا: أما الحديث الثاني الذي استشهد به جراهام لدعم افتراءاته فقد أخرجه الإمام مسلم بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقولن أحدكم ياخيبة الدهر، فإن الله هو الدهر»(١). كما روي أبو هريرة أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»(٢).

ولقد بين الإمام النووي المراد من الحديث السابق بقوله: «إن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها، من موته أو هدم، أو تلف مال، أو غير ذلك، فيقولون: ياخيبة الدهر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الدهر» «أي لا تسبوا فاعل النوازل، فإنكم إذا سبيتم فاعلها وقع السب على الله تعالى، لأنه هو فاعلها ومنزلها، وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى» ومعنى: فإن الله هو الدهر: «أي فاعل النوازل والحوادث وخالق الكون»(٣).

ولقد ورد الحديث السابق نفسه في كتب السنة الصحيحة منسوبا إلى الحق عز وجل حيث أخرجه البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله: «يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»(٤)

كما أورد أبو هريرة رضى الله عنه نفس الحديث برواية أخرى جاء فيها: «قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»(٥).

---

(١) و (٢) أخرجهما مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر ٣/١٥ (من صحيح مسلم بشرح النووي).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ٣/١٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر ٢٠٢/٢٢.
(من صحيح البخاري بشرحه عمدة القارى).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة الجاثية ١٦٦/١٩، ١٦٧
(من صحيح البخاري بشرحه عمدة القاري).

وهذا الحديث في صورته القدسية أو صورته النبوية يرمي إلى غاية واحدة مفادها نهى المسلمين عن مجاراة المشركين ومحاكاتهم في سب الدهر، لأن المشركين كانوا يعتبرون الدهر هو القوة المؤثرة، التي تتحكم في مصائرهم بعيدا عن إرادة الله سبحانه وتعالى وحسن تقديره. ويظهر لنا ذلك بوضوح من تعليق الإمام القسطلاني على هذا الحديث بقوله: «كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت، وقبضه الأرواح بأمر الله، ويضيفون كل حادث يحدث إلى الدهر والزمان، وأشعارهم ناطقة بشكوى الزمان. وهذا مذهب الدهرية من الكفار، والدهرية المنكرون للصانع... ووافقهم مشركو العرب، وإليه ذهب آخرون، ولكنهم معترفون بوجود الصانع الإله الحق جل وعز، ولكنهم كانوا ينزهون أن تنسب إليه المكاره، ويضيفونها إلى الدهر، فكانوا كذلك يسبون الدهر. قال الكرماني أيضا:(.....) (ولا تقولوا خيبة الدهر):... كأنه فقد الدهر لما يصدر عنه مما يكرهه فندبه متفجعا عليه، أو متوجعا منه، أو هو دعاء عليه بالخيبة.. (فإن الله هو الدهر)، أي: الفاعل لما يحدث فيه. قال في بهجة النفوس إن من سب الصنعة فقد سب صانعها، فمن سب الليل والنهار أقدم على امر عظيم بغير معنى، ومن سب ما يقع من الحوادث ـ وذلك أغلب ما يقع من الناس ـ فلا شيء في ذلك.

وقال جماعة من المحققين: من نسب شيئا من الأفعال الى الدهر حقيقة فقد كفر. ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر، لكن يكره له ذلك لتشبهه بأهل الكفر في الإطلاق. وقال القاضي عياض: زعم بعض من لا تحقيق عنده أن الدهر من «أسماء الله، وهو غلط، فإن الدهر مدة زمان الدنيا»[1].

وجاء في شرح النووي للحديث ما يلي: «أما قول الله عز وجل يؤذيني ابن

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٠٦/٩، ١٠٧

آدم فمعناه: يعاملني معاملة توجب الأذى في حقكم. أما قوله عز وجل وأنا الدهر برفع الراء، هذا هو الصواب المعروف... وهي موافقة لقوله: فإن الله هو الدهر، قال العلماء: وهو مجاز، وسببه أن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف...»[١].

وجاء في شرح العيني: «ومعنى قوله أنا الدهر: أنا مالك الدهر ومصرفه، فحذف اختصارا للفظ، واتساعا في المعنى.... وقيل ـ أنا الدهر: أي المدبر أو صاحب الدهر، أو مقلبه، أو مصرفه، ولهذا عقبه بقوله: بيدي الليل والنهار»[٢].

ثالثا: أما الحديث الثالث الذي استشهد به جراهام لتدعيم افتراءاته فقد أخرجه الإمام مسلم بسنده من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ينهانا عن النذر، ويقول: إنه لا يرد شيئاً، وإنما يستخرج به من الشحيح»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره له، ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئا وإنما يستخرج به من البخيل»[٥] لصحيح مسلم حيث جاء فيه ما يلي: «قال المازري: يحتمل أن يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما له فيأتي به تكلفا بغير نشاط، قال: ويحتمل أن يكون سببه كونه يأتي بالقربة التي التزمها في نذرة على صورة المعاوضة للأمر الذي طلبه فينقص أجره، وشأن العبادة أن تكون متمحصنة لله

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ٢/١٥، ٣.

(٢) عمدة القاري ٢٠٢/٢٢.

(٣) (٤) (٥) أخرجها مسلم في كتاب النذر ٩٨/١١ . ٩٩ ـ من صحيح مسلم بشرح النووي.

تعالى. قال القاضي عياض: ويحتمل أن النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة أن النذر يرد القدر، ويمنع من حصول المقدر فنهى عنه خوفا من جاهل يعتقد ذلك وسياق الحديث يؤيد هذا والله أعلم. أما قوله صلى الله عليه وسلم: لا يأتي بخير فمعناه: أنه لا يرد شيئا من القدر كما بينه في الروايات الباقية. أما قوله: يستخرج به من البخيل فمعناه أنه لا يأتي بهذه القربة تطوعا محضا مبتدأ وانما يأتي بها في مقابلة شفاء المريض وغيره مما تعلق النذر عليه»[1].

ولقد ورد موضوع النهي عن النذر في صيغة حديث قدسي أيضا في الكتب الصحيحة منها ما أخرجه البخاري بسنده من حديث إبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدرته ولكن يلقيه القدر وقد قدرته له استخرج به البخيل»[2].

وهذا الحديث الأخير ظاهر من لفظه أنه حديث قدسي حيث ورد فيه «لم يكن قد قدرته» وفيه «استخرج به من البخيل» والأفعال فيه ـ كما أفاد بذلك القسطلاني[3] مسنده إلى من يقدر وليس هناك من يفعل ذلك إلا الله تعالى.

وهذا الحديث في صورته القدسية أو في صورته النبوية يومي إلى غاية واحدة هي نهي المسلمين عن النذر، لأنه لا يأتي بخير، ولا يأتي بشيء لم يقدره اليه سبحانه وتعالى لعباده. فليس هناك تناقض أو اضطراب، لا في المعنى ولا في المبنى بين الحديث المنسوب إلى الحق عز وجل في النهي عن النذر، وبين الأحاديث المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم حول نفس الموضوع، لأن هذه الأحاديث غايتها واحدة، ومصدرها واحد، وهي وحي من الله سبحانه وتعالى. يفسر بعضه بعضاً ويعضد بعضه بعضا.

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم بشرح النووي).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب إلقاء العبد النذر إلى القدر١١/٤٩٩ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٣) فتح الباري ١١/٤٩٩.

رابعا: أما الأحاديث التي أوردها جراهام باعتبار أنها مجهولة المصدر لأنها متضمنة لعبارات مبهمة مثل (يؤتى)، و(نودوا)، (ويقال) وغيرها، فسوف أورد منها بعض الأمثلة لكي أوضح أن المسلمين كانوا يعرفون هذه الصيغ والمراد منها وممن صدرت على وجه التحديد، وذلك منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم وإلى عصرنا الحاضر.

ومن أمثلة هذه الأحاديث التي ذكرها جراهام الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه. فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿**وانذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهو لا يؤمنون**﴾ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا...»[1].

قال العيني في شرحه للحديث: «فإن قلت: من الذابح للموت؟ قلت: يذبحه يحيى ابن زكريا عليه الصلاة والسلام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل: يذبحه جبريل عليه الصلاة والسلام. ذكره القرطبي في التذكرة»[2].

ومن أمثلة الأحاديث التي فيها ينادي مناد الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة مريم باب (وأنذرهم يوم الحسرة) ٥٢/١٩ (من صحيح البخاري بشرحه عمدة القاري).

(٢) عمدة القاري ٥٢/١٩.

أبدا، فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1][2].

إن هذه الألفاظ التي تأتي بصيغة المبنى للمجهول كانت ولا تزال معروفة لدى المسلمين، حيث أنها من التعبيرات المألوفة في لغة العرب، ولقد وردت لها أمثلة في كثير من آيات القرآن الكريم، مثل الآية التي استشهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن الحديث النبوي المذكور أعلاه.

ولقد عرف المسلمون المعنى المراد من هذه الآية الكريمة ولم تتملكهم الحيرة، أو يصيبهم الارتباك، كما أدعى جراهام. وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذه العبارات وأمثالها كانت واضحة ومألوفة لدى السلف الصالح. قال الفخر الرازي في تفسيره للآية السابقة ما يلي: «ذلك النداء إما أن يكون من الله تعالى، أو أن يكون من الملائكة، والأولى أن يكون المنادي هو الله سبحانه»[3].

وقال الدكتور محمود حجازي في تفسيره: «وهذه الملائكة تناديهم: سلام عليكم، طبتم، فادخلوها خالدين، فهذه الجنة التي أورثتموها وصارت لكم كما يصير الميراث لأصحابه جزاء أعمالكم»[4].

ومثاله في القرآن الكريم أيضا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[5].

قال الفخر الرازي في تفسيره: «يقال لأولئك الكفار الذين يطلبون نزول

---

(١) سورة الأعراف آية: ٤٣

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة تعميمها وأهلها ١٨/١٧٥.
(من صحيح مسلم بشرح النووي)

(٣) التفسير الكبير ٤/٢١٠.

(٤) التفسير الواضح ١/٣١٥.

(٥) سورة يونس آية: ٥٢

العذاب بتقدير أن يحصل هذا المطلوب وينزل هذا العذاب: ما الفائدة لكم فيه، فإن قلتم: نؤمن عنده، فذلك باطل، لأن الإيمان في ذلك الوقت حاصل في وقت الإلجاء والقسر، وذلك لا يفيد نفعا البته، فثبت أن هذا الذي تطلبونه لو حصل لم يحصل منه إلا العذاب في الدنيا، ثم يحصل عقيبه يوم القيامة عذاب آخر أشد منه وهو أنه يقال للذين ظلموا ﴿**ذوقوا عذاب الخلد**﴾ ثم يقرون بذلك العذاب كلام يدل على الإهانة والتحقير وهو أنه تعالى يقول: ﴿**هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون**﴾[1].

وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[2].

ولقد أورد الدكتور محمود حجازي في تفسيره للآية مايلي: «ثم يقال لهم من قبل الملائكة تأنيبا وتوبيخا: هذا هو العذاب والجزاء الحق الذي كنتم إذا سمعتم خبره تكذبون به وتكفرون، وها أنتم أولاء قد عاينتموه بأنفسكم، بل وذقتم مره»[3].

خامسا: أما حديث فضل الجهاد في سبيل الله الذي ادعى جراهام أن فيه خلطا ومزجا وارتباكا، فهو حديث قدسي: مصدره الحق عز وجل وهو مشفوع بعبارات توضيحية من الرسول صلى الله عليه وسلم، يحث فيها المسلمين على الجهاد في سبيل الله، لكي ينالوا عظيم الثواب الذي أعده الله للمجاهدين في سبيله، كما ورد ذلك في عجز هذا الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنة. ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت

---

(١) التفسير المطففين آية: ١٧

(٢) سورة المطففين آية: ١٧

(٣) التفسير الواضح ٥٧٦/٢.

خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل»[1].

جاء في شرح ابن حجر للحديث مايلي: «قوله: بي، فيه عدول عن ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم، فهو إلتفات. وقال ابن مالك: كان اللائق في الظاهر هنا إيمان به، ولكنه على تقدير اسم فاعل من القول منصوب على الحال أي: انتدب الله لمن خرج في سبيله قائلا: لا يخرجه إلا إيمان بي، ولا يخرجه مقول القول لأن صاحب الحال على هذا التقدير هو الله. وتعقبه شهاب الدين بن المرحل بأن حذف الحال لا يجوز، وأن التعبير باللائق هنا غير لائق، فالأولى أنه من باب الالتفات وهو متجه»[2].

وقال القسطلاني في شرحه للحديث: ويتفق القسطلاني في شرحه للحديث مع ما ذكره ابن حجر ثم يضيف: «إنما عدل عن به الذي هو الأصل إلى بي للالتفات من الغيبة إلى المتكلم.. وقول ابن مالك في التوضيح كان الأليق إيمان به، ولكنه على تقدير حال محذوف أي قائلاً: لا يخرجه إلا إيمان بي، ولا يخرجه مقول القول، لأن صاحب الحال على هذا التقدير هو الله. رواه ابن المرحل فقال: أساء في قوله: كان الأليق وإنما هو من باب الإلتفات... ولولا أن أشق: أي لولا المشقة على أمتي ما قعدت خلف سرية، بالنصب على الظرفية، أي: ما قعدت بعد سرية بل كنت أخرج معها بنفسي لعظم أجرها، ولولا إمتناعية، وأن مصدريه في موضع رفع بالابتداء، وما قعدت جواب لولا، وأصله لما، فحذفت اللام، والمعنى امتنع عدم القعود، وهو القيام، لوجود المشقة، وسبب

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان ٩٢/١. وأخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله ٦/٧، وأخرجه في كتاب فرض الخمس، باب أحلت لكم الغنائم ٢٢٠/٧ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).
ـ وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الجهاد والخروج في سبيل الله تعالى ١٣/ ١٩، ٢٠ (من صحيح مسلم بشرح النووي).

(٢) فتح الباري ٩٣/١.

المشقة صعوبة تخلفهم بعده، ولا قدرة لهم على المسير معه، لضيق حالهم. قال ذلك صلى الله عليه وسلم شفقة على أمته، جزاه الله عنا أفضل الجزاء»[1].

أما حديث «من همّ بحسنة...» الذي أدعى جراهام أيضا أن فيه خلطا ومزجا وارتباكا، فهو حديث قدسي صرف يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل، كما أخرجه البخاري بسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[2].

من الواضح أن هذا الحديث يدورحول الأمور الغيبية التي لا يستطيع الإنسان أن يعلمها إلا عن طريق الوحي، ولقد رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل كما وضح ذلك العيني في شرحه للحديث حيث قال: «قوله فيما يرويه عن ربه، لبيان أنه من الأحاديثُ القدسية، أو بيان ما فيه من الإسناد الصريح إلى الله تعالى حيث قال: إن الله كتب، أو بيان الواقع... لأنه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى، أو المعنى في جعله ما يرويه أنه عز وجل كتب الحسنات، أي: قدرها وجعلها حسنة وكذلك السيئات قدرها وجعلها سيئة.. ثم بين ذلك، أي ثم بين الله عز وجل الذي كتب من الحسنات والسيئات قوله:

(١) إرشاد الساري ١/١٢١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من همّ بحسنة أو سيئة ٢٣/٢٩ (من صحيح البخاري بشرحه عمدة القاري).
- وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله تعالى عن حديث النفس ١/١٤٩، ١٥٠.
- أخرجه مسلم أيضا في كتاب الجنة، باب صفة نعيمها وأهلها ١٧/١٦٥، ١٦٦ (من صحيح مسلم بشرح النووي) . وأخرجه الترمذي في أبواب التفسير، من سورة السجدة ١٢/٧٤، ٧٥ (من عارضة الأحوذي).

«فمن هم» بيان ذلك بفاء الفصيحة، قوله: فلم يعملها: أي فلم يعمل الحسنة التي هم بها، كتبها الله عنده: أي كتب الله تلك الحسنة التي هم بها، وقيل: أمر الحفظة بأن تكتب ذلك، وقيل: قدر ذلك، وعرف الكتبة من الملائكة ذلك التقدير»[1].

سادساً: ما افتراء المستشرق جراهام على الصحابة رضوان الله عليهم واتهامهم بعدم الدقة في نقل السنة ومزج متونها فيبطله تعديل الله ورسوله لهم كما هو واضح من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في هذا الشأن.

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [2] وقال تعالى أيضا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [3]: وقال تعالي: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[4].

أما فيما يختص بتعديل النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة فقد وردت أحاديث كثيرة تدل على ذلك، منها الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تنسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[5].

كما كان الصحابة رضوان الله عليه يتحرون الدقة في تحمل الحديث وأدائه، وكانوا على درجة كبيرة من الأمانة ورهافة الحس والورع والتهيب من

---

(١) عمدة القاري ٧٩/٢٣.

(٢) سورة آل عمران آية: ١١٠

(٣) سورة الأنفال آية: ٦٤

(٤) سورة التوبة آية: ١٠٠

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذا خليلا ٢١/٧. (من صحيح البخاري بشرجه فتح الباري).

التقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يبينون للسامع ما شكوا فيه من لفظ الحديث. ومن أمثلة ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، عن النبي صلى اله عليه وسلم قال: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم. قال عمران: فما ادري قال النبي صلى الله عليه سلم بعد قوله مرتين أو ثلاثا...[1]

ويدلنا على ذلك أيضا الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك».

قال عمير: فقال مالك بن يخامر: قال معاذ: «وهم بالشام» فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذا يقول: وهم بالشام[2].

أما أبوه هريرة رضي الله عنه الذي ادعى جراهام أنه كان سببا في إرباك رواة الحديث من بعده، لجهله وعدم تحرية الدقة في نسبة الأحاديث إلى مصادرها الحقيقية، فهو صحابي جليل، وكان من المكثرين من رواية الحديث، نظرا لكثرة ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم. ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: «إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا. ثم يتلو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ـــ إلى قوله ـ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ٢٤٤/١١ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب ٢٨، ٦٣٢/٦ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٣) سورة البقرة آية: ١٥٩.

إن أخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبع[1] بطنه، ويحضر مالا يحضرون، ويخفظ مالا يحفظون»[2].

ولأبي هريرة رضي الله عنه مناقب عديدة منها مايلي: أخرج البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: «قلت: يارسول الله، إني أسمع منك حديثا كثيرا فأنساه، قال: ابسط رداءك فبسطه، فغرف بيده فيه قال: ضمه، فضممته، فما نسبت حديثا بعد» [3].

ولقد ظهرت آثار بركة النبي صلى الله عليه وسلم بجلاء في حفظ أبي هريرة لكل ما يسمعه أو يعرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل ما يتلوه في المناسبات المختلفة، ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث أبي هريرة أيضا أنه قال: يقول الناس: أكثر أبو هريرة، فلقيت رجلا فقلت: بما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة في العتمة؟ فقال: لا أدري فقلت: ألم تشهدها؟ قال: بلى قلت: لكن أنا أدري قرأ سروة كذا وكذا»[4].

ولقد وثَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا هريرة رضى اله عنه فلا يؤبه لتجريح أحد له بعد توثيقه صلى الله عليه وسلم. ويدلنا على ذلك الحديث الذي

---

(١) جاء في بعض طرق الحديث قول أبي هريرة: على ملىء بطني، وجاء أيضا قوله رضي الله عنه: وكنت إمرأ مسكينا من مساكين الصفة. وقال ابن حجر في شرحه للحديث: أي مقتنعا بالقوت. أي: فلم تكن له غيبة عنه ـ صلى الله عليه وسلم. انظر كتاب البيوع، باب قول الله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ٢٨٧/٤، ٢٨٩ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب حفظ العلم ٢١٣/١ . ٢١٤ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب ٢٨، ٦٣٣/٦ (من صحيح البخاري بشرح فتح الباري).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العمل في الصلاة، باب يفكر الرجل الشيء في الصلاة ٩٠/٣ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

أخرجه البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: «قلت: يارسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لايسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا اله الا الله، خالصا من قلبه أو نفسه»[1].

ويظهر توثيق النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة أيضا من الحديث الذي أخرجه الترمذي بسنهد عن إبي هريرة أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ممم أنت: قلت: من دوس. قال: ما كنت أدري في درس أحدا فيه خير[2].

سابعا: أما الأحاديث التي أدعى المستشرق جراهام أنها مأخوذة عن الفلسفات والأديان السابقة للإسلام وبخاصة اليهودية والمسيحية، فهى أيضا مخرجة في كتب السنة الصحيحة، فالحديث الذي ورد لبيان صفة أهل الجنة وما أعده الله لهم من الخير أخرجه البخاري بسنده من حيث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث ١٩٣/١
(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب المناقب باب مناقب لأبي هريرة ٢٢٧/١٣ قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب (من العارضة).

(٣) **أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾** ٤٦٥/١٣ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

- وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها ١٦٥/١٧، ١٦٦
(من صحيح مسلم بشرح النووي).
- وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة الواقعة ١٧٩/١٢.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (من عارضة الأحوذي).
- وأخرجه إبن ماجة في كتاب الزهد باب صفة الجنة ٣٠٥/٢ حديث رقم: ٤٣٢٨.

قال العيني في شرحه للحديث: «وهذا من الأحاديث القدسية. قوله أعددت أي هيأت، قوله: لعبادي، الإضافة فيه للتشريف: أي لعبادي المخلصين ويروى لعبادي فقط»[١].

وهذا الحديث أخرجه مسلم بسنده من حديث المغيرة بن شعبة يرفعه كالاتي: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذانهم، فيقال له: أترض أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدينا فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة رضيت رب فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك فيقول: رضيت. قال: رب فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر. قال: ومصداقة في كتاب الله عز وجل: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾[٢] الآية.[٣].

لقد فسر العلامة ابن كثير هذه الآية بما يلي: فلا تعلم نفس ما أخفي لها من قرة أعين، أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لما أخفوا من أعمالهم، كذلك أخفى الله لهم الثواب جزاء وفاقا، فإن الجزاء من جنس العمل. قال الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر»[٤]

---

(١) عمدة القاري ١٦٠/٢٥

(٢) سورة السجدة آية: ١٧.

(٣) اخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجا ٣ / ٤٥ . ٤٦.
(من صحيح مسلم بشرح النووي).
ـ وأخرجه الترمذي في أبواب التفسير من سورة السجدة ١٢/ ٧٦ . ٧٨.
(من عارضة الأحوذي).

(٤) تفسير ابن كثير ٧٥/٣.

وجاء في شرح النووي للحديث ما يلي: «إن قولهم: رواية أو يرفعه أو ينيمه أو يبلغ به، كلها ألفاظ موضوعة عند أهل العلم لأضافة الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لاخلاف في ذلك بين أهل العلم... أما أردت فبضم التاء، ومعناه اخترت واصطفيت، واما غرست كرامتهم بيدي إلى آخره فمعناه: اصطفيتهم وتوليتهم فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير، وفي آخر الكلام حذف اختصر للعمل به تقديره: ولم يخطر على قلب بشر ما أكرمتهم به وأعددته لهم. وقوله ومصداقه وهو بكسر الميم ومعناه: ودليله وما يصدقه»[1].

أما حديث الحبر الذي جاء إلى رسول اله صلى الله عليه وسلم وأخبره عن بعض الأمور الغيبية التي لا يمكن أن يعرفها إلا رسل وأنبياء الله عن طريق الوحي فهو مخرج أيضاً في كتب السنة الصحيحة، كما رواه البخاري بسنده من حديث عبدالله: أن يهوديا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إن الله يمسك السموات على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع، والشجر على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجده، ثم قرأ ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[2].

قال يحيى بن سعيد: وزاد فيه فضيل بن عياض، عن منصور عن إبراهيم، عن عبيدة عن عبدالله: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا له»[3].

أخرج البخاري أيضا بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ٣/٤٥، ٤٦.

(٢) سورة الأنعام آية: ٩١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ ١٣/٣٩٣ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

صلى الله عليه وسلم قال: «يقبض الله الأرض يوم القيادمة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»[١].

لقد نقل ابن حجر آراء العلماء حول هذا الحديث بما يوضح أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يستعين بأحبار اليهود أو يستقي العلم والمعرفة منهم كما ادعى جراهام. ولقد جاء في شرح ابن حجر حول هذا الموضوع ما يلي: «قال ابن بطال: لا يحمل ذكر الاصبع على الجارحة، بل يحمل على أنه صفة من صفات الذات، لا تكيف ولا تحدد (وهذا ينسب للأشعري). وعن ابن فورك: يجوز أن يكون الاصبع خلقا يخلقه الله فيحمله الله ما يحمل الاصبع، ويحتمل أن يراد به القدرة والسلطان كقول القائل: (ما فلان إلا بين أصبعي، إذا أرادالاخبار عن قدرته عليه. وأيد ابن التين الأول بأنه قال: على اصبع ولم يقل على اصبعيه، قال ابن بطال: وحاصل الخبر أنه ذكر المخلوقات وأخبر عن قدرة الله على جميعها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم تصديقا له وتعجبامن كونه يستعظم ذلك في قدرة الله تعالى وإن ذلك ليس في جنب ما يقدر عليه بعظيم، ولذلك قرأ قوله تعالى: ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ الآية: أي ليس قدره في القدرة على ما يخلق على الحد الذي ينتهي إليه الوهم، ويحيط به الحصر، لأنه تعالى يقدر على امساك مخلوقاته على غير شيء... قال تعالى: ﴿**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا**﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[٣]. وقال الخطابي: لم يقع ذكر الإصبع في القرآن ولا في حديث مقطوع به، وقد تقرر أن اليد ليست بجارحة، حتى يتوهم من يثبتونها ثبوت الأصابع، بل هو توقيف أطلقه الشارع، فلا يكيف، ولا يشبه، ولعل ذكر الأصابع من تخليط

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ملك الناس﴾ ٣٦٧/١٣ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) سورة سبأ آية: ٤١.

(٣) سورة الرعد آية: ٢.

اليهودي، فإن اليهود مشبهة، وفيما يدعونه من التوراة ألفاظ تدخل في باب[1] التشبيه ولا تدخل في مذاهب المسلمين. وأما ضحكه صلى الله عليه وسلم من قول الحبر فيحتمل الرضا والإنكار، أما قول الراوي: تصديقا له. فظن منه وحسبان، وقد جاء الحديث من عدة طرق ليس فيها هذه[2] الزيادة، وقد تعقب بعضهم إنكار ورود الأصابع لوروده في عدة أحاديث كالحديث الذي أخرجه[3] مسلم: إن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن... وقال القرطبي في المفهم: قوله: إن الله يمسك إلى آخر الحديث، هذا كله قول اليهودي، وهم يعتقدون التجسيم، وأن الله شخص ذو جوارح، كما يعتقده غلاة المشبهة من هذه الأمة. وضحك النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو للتعجب من جهل اليهودي، ولهذا قرأ عند ذلك (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه، فهذه الرواية هي الصحيحة المحققة. أما من زاد (تصديقاً له) فليس بشيء، فإنها من قول الراوي وهي باطلة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يصدق المحال، وهذه الأوصاف في حق الله محال، وإذا لو كان ذا يد وأصابع وجوارح كان كواحد منا فكان يجب له من الافتقار والحدوث والنقص والعجز ما يجب لنا، ولو كان كذلك لاستحال أن يكون إلها، إذ لو جازت الإلهية لمن هذه صفته لصحت للدجال، وهو محال فالمفضي إليه

(١) توجد فقرات كثيرة في توراة اليهود الحالية تدخل في باب التشبيه، للاطلاع على بعضها يمكن اللجوء إلى ما جاء في: سفر التكوين ١٨/١ - ١٣، ٣٢/٢٤ - ٣٠.
وسفر الخروج ١٩/ ٧ - ١٣

(٢) إن هذا يعتبر من زيادات الثقات لأن الحديث مخرج في صحيح البخاري، وهذه زيادة ليس فيها منافاة لما رواه الثقات، أو الأوثق، فحكمها القبول، لأنها كحديث تفرد برواية جملته ثقة من الثقات. فيما يختص بحكم الزيادة في المتن يمكن اللجوء إلى علوم الحديث: ٧٧ والكفاية ٤٢٤ وما بعدها. وتدريب الراوي ٢٤٥/١ - ٢٤٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ٢٠٤/١٦ (من صحيح مسلم بشرح النووي).

كذب، فقول اليهودي كذب ومحال، لذلك أنزل الله في الرد عليه **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾**. وإنما تعجب النبي صلى الله عليه وسلم من جهله فظن الراوي أن ذلك التعجب تصديق وليس كذلك، فإن قيل: قد صح حديث «إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن. فالجواب: إنه إذا جاءنا مثل هذا الكلام الصادق تأولناه، أو توقفنا فيه إلى أن يتبين وجهه، مع القطع باستحالة ظاهرة لضرورة صدق من دلت المعجزة على صدقه. وأما إن جاء على لسان من يجوز عليه الكذب، بل على لسان من أخبر الصادق عن نوعه بالكذب والتحريف[1] كذبناه وقبحناه، ثم لو سلمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح بتصديقه لم يكن ذلك تصديقا له في المعنى، بل ظاهره غير مراد، قال ابن حجر: وهذا الذي نحا إليه أخيرا أولى مما ابتدأ به، لما فيه من الطعن على ثقات الرواة، ورد الأخبار الثابتة، ولو كان الأمر على خلاف ما فهمه الراوي بالظن للزم منه تقرير النبي صلى الله عليه وسلم على الباطل وسكوته على الإنكار، حاشا لله من ذلك. وقد اشتد إنكار ابن خزيمة على من ادعى الضحك المذكور على سبيل الإنكار، فقال:.. قد أجل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يوصف بحضرته بما ليس هو من صفاته فيجعل بدل الإنكار والغضب على الواصف ضحكا، بل لا يصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف من يؤمن بنبوته، وقد وقع الحديث الماضي في الرقاق عن أبي سعيد. رفعه: تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده، كما يتكفؤ أحدكم خبزته.. الحديث، وفيه أن يهوديا دخل فأخبر بمثل ذلك، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ثم ضحك» هـ[2].

---

(١) إن الأخبار التي تروي على أنها من التوراة لا تستطيع أن تحكم بصحتها إلا إذا وافقت ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله لأن اليهود حرفوا التوراة وبدلوا كثيرا من أسفارها كما جاء في كثير من آيات القرآن منها ما جاء في سورة البقرة آية ٧٥ ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه﴾ وفي سورة النساء آية ٤٦ ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾.

(٢) فتح الباري ٣٩٨/١٣، ٣٩٩.

أما الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية التي وردت في فضل المتحابين في الله، فهي ليست مأخوذة عن اليهود والنصاري والفلسفات الوثنية كما ادعى جراهام، بل هي مخرجة في كتب السنة الصحيحة، فقد أخرج الامام مسلم بسنده من حديث أبي هريرة رصي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يقول يوم القيام: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»[1].

كما أخرج الامام مسلم بسنده من حديث أبي هريرة أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة ترُبُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل. قال فإني رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[2].

وأخرج البخاري بسنده من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[3].

لقد ورد في شرح الإمام النووي للأحاديث الواردة عند مسلم مايلي: «فيه دليل لجواز قول الإنسان: الله يقول، وهو الصواب الذي عليه العلماء كافة إلا ما قدمناه في كتاب الإيمان عن بعض السلف من كراهة ذلك وأنه لا يقال: يقول الله

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله تعالى ١٦/١٢٣.
(من صحيح مسلم بشرح النووي).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله تعالى ١٦/١٢٣، ١٢٤.
(من صحيح مسلم بشرح النووي).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ١/١٦٠.
(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

بل يقال: قال الله، وقدمنا أنه جاء بجوازه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾[1].

وأحاديث صحيحة كثيرة. قوله تعالى: «**المتحابون بجلالي: أي بعظمتي وطاعتي، لا للدنيا**». وقوله تعالى: «**يوم لا ظل إلا ظلي:**» أي أنه لا يكون منها له ظل مجازا كما في الدنيا، وجاء في غير مسلم ظل عرشي. قال القاضي: ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس، ووهج الموقف وأنفاس الخلق، قال: وهذا قول الأكثرين، وقال عيسى ابن دينار: معناه: كفه من المكاره، وإكرامه وجعله في كنفه وستره، ومنه قولهم: السلطان ظل الله في الأرض. وقيل: يحتمل أن الظل هذا عبارة عن الراحة والنعيم، يقال: هو في عيش ظليل أي طيب... معنى أرصده أقعده يرقبه، والمدرجة بفتح الميم والراء هي الطريق، سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها: أي يمضون ويمشون. قوله: لك نعمة عليه تربها: أي تقوم باصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك... قال العلماء: محبة الله عبده هي رحمته له ورضاه عنه، وإرادته له الخير، وأن يفعل به فعل المحب من الخير، وأصل المحبة في حق العباد ميل القلب، والله تعالى منزه عن ذلك. وفي هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى، وأنها سبب لحب الله تعالى العبد، وفيه فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب، وفيه أن الآدميين قد يرون الملائكة»[2].

وجاء في شرح ابن حجر لحديث البخاري مايلي: «قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبه الايمان بالشجرة في قوله تعالى: ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾.[3] فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأمر، واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جنى الثمرة، وغاية كمالها

(١) سورة الأحزاب آية: ٤

(٢) مسلم بشرح النووي ١٦/١٢٣، ١٢٤.

(٣) سورة ابراهيم آية: ٢٤.

تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها.. قال البيضاوي: المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه، وإن كان على خلاف هوى النفس، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أوخلاص آجل، وأن العقل يقتضي رجحان جانب ذلك تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له، ويلتذ بذلك التذاذا عقليا، إذ الالتذاذ العقلي: إدراك ما هو كمال وخير، من حيث هو كذلك. وعبر الشاعر عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها اللذائذ المحسوسة. قال: وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأنه لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يبين له مراد ربه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه: فلا يحب إلا ما يحب،ولا يحب من يحب إلا من أجله. وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقينا. ويخيل إليه الموعود كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة.. وشاهد الحديث من القرآن قوله تعالى: ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم**﴾ إلى أن قال: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1] ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله ﴿**فتربصوا**﴾... وقال غيره: محبة الله على قسمين: فرض، وندب، فالفرض المحبة التي تبعت على امتثال أوامره والانتهاء عن معاصيه، والرضا بما يقدره، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه... والندب: أن يواظب على النوافل ويتجنب الوقوع في الشبهات أ. هـ[2]».

ومن هنا يتضح لنا أن الحب في الله الذي يزعم جراهام أن المسلمين قد انتحلوه عن النصرانية، وضمنوه بعض الأحاديث النبوية والأحاديث القدسية فلا

(١) سورة التوبة آية:٢٤.

(٢) فتح الباري ١/٦٠، ٦١.

يشبه مفهوم الحب الذي يؤمن به النصارى، لأن النصارى يؤمنون أن غاية الحب هي الفناء في الله وفي هذا غاية الكفر والضلال.

ولقد دخلت مثل هذه المفاهيم الخاطئة على النصرانية في مراحلها الأولى عندما امتزجت بالفلسفات الوثنية كما وضح ذلك عالم اللاهوت[1] الغربي جوشيا رويس في مؤلفه «مشكلة المسيحية»، حيث عقد مقارنة بين النصرانية والبوذية وخرج بنتيجة مفادها أن النصرانية ديانة شبيهة بالبوذية تمام الشبه.

أما الحب في الله كما وضحته الأحاديث الشريفة، فغايته طاعة الله، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه.

أما الحديث القدسي الوارد في شأن فضل عيادة المريض فهو أيضا مخرج في كتب السنة الصحيحة، ولم يؤخذ من أناجيل النصاري كما أدعى جراهام. ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب، كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي؟»[2].

(١) أنظر الفصل الأخير من المجلد الثاني في كتاب:
The Problem of Christianity.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة المريض ١٦/١٢٥، ١٢٦ (من صحيح مسلم بشرح النووي).

قال[1] العلماء: إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى والمراد العبد، تشريفا للعبد وتقريبا له. قالوا: ومعنى وجدتني عنده، أي وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث: لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، لو أسقيته لوجدت ذلك عندي، أي ثوابه.

أما الأحاديث التي وردت في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته فهي أيضا مخرجة في كتب السنة الصحيحة ولم يتكرها المسلمون وينسبوها إلى رسولهم دون غيره من البشر كما ادعى جراهام. ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده من حديث جبير بن مطعم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس على قدميَّ، وأنا العاقب، الذي ليس بعده أحد. وقد سماه الله رؤوفا رحيما»[2].

ولقد أورد النووي في شرحه للحديث ما يلي: «قال أهل اللغة: يقال رجال محمد ومحمود، إذا كثرت خصاله المحمودة، وقال ابن فارس وغيره: سمي نبينا صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد، أي الهم الله تعالى أهله أن سموه به لما علم من جميل صفاته. قوله صلى الله عليه وسلم: وأنا الماحي الذي يمحي بي الكفر، قال العلماء: المراد محو الكفر من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب، وما زوي له صلى الله عليه وسلم من الأرض، ووعد أن يبلغه ملك أمته ـ قالوا: ويحتمل أن المراد المحو العام معنى الظهور بالحجة والغلبة، كما قال تعالى: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[3].

وجاء في حديث آخر تفسير الماحي بأنه: الذي محيت به سيئات من

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/١٢٦.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم ١٥/١٠٤، ١٠٥ (من صحيح مسلم بشرح النووي).
(٣) سورة التوبة آية: ٣٣

اتبعه، فقد يكون المراد بمحو الكفر هذا، ويكون كقوله تعالى: ﴿**قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف**﴾ والحديث الصحيح: «الإسلام[1] يهدم ما قبله». أما قوله صلى الله عليه وسلم: وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي[2]. وفي رواية أخرى على قدمي.

لكن ضبطوه بتخفيف الياء على الأفراد وتشديدها على التثنية، وأما الرواية الأولى فهي في معظم النسخ وفي بعضها قدمي كالثانية.

قال العلماء: معناهما يحشرون على أثري وزمان نبوتي ورسالتي وليس بعدي نبي، وقيل يتبعوني ـ قوله: والمقفى[3]، ونبي الرحمة، ونبي المرحمة، فمعناها متقارب، ومقصودها أنه صلى الله عليه وسلم جاء بالتوبة وبالتراحم. قال الله تعالى: «رحماء بينهم» «وتواصو بالصبر وتواصوا بالمرحمة» وفي حديث آخر «نبي الملاحم» لأنه صلى الله عليه وسلم بعث بالقتال، قال العماء: وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع أنه له صلى الله عليه وسلم أسماء غيرها، لأنها موجودة في الكتب المتقدمة، وموجودة للأمم السالفة[4].

وقد وردت في كتب السنة الصحيحة أيضا كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي توضح أن صفات النبي صلى الله عليه وسلم موجودة في التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام. ويدلنا على ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال: أجل والله، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يا أيها

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسلام يهدم ما قبله وكذا الحج الهجرة ١/١٣٧، ١٣٨ (من صحيح مسلم بشرح النووي).

(٢) أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/١٠٤.

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ١٠٥.

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم ١٥/١٠٤ . ١٠٦.

النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا، نذيرا، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله الا الله، ويفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا»[1].

وفيما يختص بشرع هذا الحديث أورد العلامة ابن حجر مايلي: «قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا: أي شاهدا على الأمة، ومبشرا للمطيعين بالجنة وللعصاة بالنار، أو شاهدا للمرسل قبله بالإبلاغ... سميتك المتوكل، أي على الله لقناعته باليسير، والصبر على ما كان يكره... قوله: بفظ ولا غليظ هو موافق لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2]، ولا يعارض قوله تعالى: ﴿ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[3] لأن النفي محمول على طبعه الذي جبل عليه، والأمر محمول على المعالجة، أو النفي بالنسبة للمؤمنين، والأمر بالنسبة إلى الكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الآية... قوله: ولا يدفع بالسيئة السيئة هو مثل قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[4]... ولن يقبضه: أي يميته، وقوله حتى يقيم به: أي حتى ينفي الشرك ويثبت التوحيد. والملة العوجاء: ملة الكفر. فيفتح بها: أي بكلمة التوحيد. أعينا عميا: أي عن الحق»[5].

ولقد ورد الحديث السابق أيضا في صحيح البخاري من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كالآتي: «إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿**يا أيها**

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب كراهية الصخب في الأسواق ٣٤٣/٤.
(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) سورة آل عمران آية: ١٥٩.

(٣) سورة التوبة آية: ٧٣.

(٤) سورة المؤمنون آية: ٩٦.

(٥) فتح الباري ٥٨٦/٨.

النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾، قال: في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله إلا الله، فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا»[1].

ولقد أورد العلامة ابن حجر في شرح هذا الحديث مايلي: «حرزا بكسر المهلة: أي حافظا، وأصل الحرز الموضع الحصين، وهو استعارة. وقوله: حتى يقيم به الملة العوجاء: أي ملة العرب، ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام، والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان، وقوله وقلوبا غلفا.. الغلف كل شيء له غلاف، يقال: سيف أغلف وقوس غلفاء، ورجل أغلف إذا لم يكن مختونا»[2].

ومن هنا يتضح لنا أن المسلمين لم ينقلوا شيئا عن أهل الكتاب. لأن وجود بعض التشابه في بعض الحقائق الواردة في العهدين القديم والجديد مع ما ورد في القرآن والسنة لا يصلح دليلا على أن المسلمين نقلوا عن أهل الكتاب، لأن هذه الأديان أصلها واحد ومصدرها واحد.

ولقد بين الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم بعض الأمور الغيبية والوقائع التاريخية التي حدثت في الأزمان الغابرة، والتي ربما تكون قد وردت أيضا في بعض كتب اليهود والنصارى، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[3].

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب إنا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ٨/٥٨٥.
(من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) فتح الباري ٨/٥٨٦.

(٣) سورة آل عمران آية: ٤٤.

فإذا جاء تحريف أو تشويه للحقائق فإنه يكون من اليهود والنصارى وليس من المسلمين لأن الأخبار الواردة في أسفار العهدين القديم والجديد لم[1] توثق ولم يكن لمؤلفيها منهجية معروفة عند تدوينها، بل كانوا يتعمدون تحريفها وتبديلها، طبقا لهواهم، وجريا وراء مصالحهم الشخصية، كما جاء ذلك في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[3] وقال تعالى أيضا: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ... ﴾[4].

ولقد وضح القرآن الكريم الحق الذي كانوا يكتمونه. قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[6].

وفي السنة النبوية الشريفة أيضا تصحيح لانحرافات اليهود عما جاء في توراة موسى عليه السلام، كما جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا، فقال لليهود: ما تصنعون بهما؟ قالوا نسخم

---

(١) فيما يختص بذلك يمكن الرجوع إلى:

1- New TestamentSurvey*
2- Introduction to the New Testament.

(٢) سورة النساء آية: ٤٦

(٣) سورة البقرة آية: ٧٥

(٤) سورة المائدة آية: ١٣

(٥) سورة البقرة آية: ٨٩

(٦) سورة البقرة آية: ١٤٦.

وجوههما ونخزيهما قال: فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين. فجاءوا فقالوا لرجل ممن يرضون: يا أعور اقرأ فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليه، قال: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيه آية الرجم تلوح، فقال: يا محمد، إن عليهما الرجم، ولكن نتكاتمه بيننا. فأمر بهما فرجما. فرأيته يجانيء عليها الحجارة)[1].

أما صفات العبد الصالح التي تنبأ بقدومه سفر أشعياء وانطباق معظم تلك الصفات ـ على الرغم من تحريف التوراة ـ مع صفات النبي صلى الله عليه وسلم فهي حجة على اليهود وغيرهم، لأن الله سبحانه وتعالى قد بين لليهود والنصارى أن صفات النبي صلى الله عليه وسلم موجودة عندهم في التوراة والإنجيل كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[2].

فكان ينبغي عليهم أن يستدلوا بها على صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به، إلا أنهم كتموا الحق، وظلموا أنفسهم، وأضلوا غيرهم، فالحمدلله الذي هدى المسلمين إلى الحق بإذنه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما يجوز في تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية ٥١٦/١٣ (من صحيح البخاري بشرحه فتح الباري).

(٢) سورة الأعراف آية: ١٥٧.

الخاتمة

لقد افترى المستشرق وليام جراهام على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزعم أنهم ما كانوا يفهمون الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي، حيث كانوا ـ بزعمه ـ ينسبون الحديث الواحد لله تارة ولرسوله صلى الله عليه وسلم تارة أخرى. كما أدعى أن الأحاديث القدسية نسبت لله عز وجل بعد القرن السادس الهجري.

لكن ثبت لنا من خلال هذا البحث أن الصحابة رضوان الله عليهم وتابعيهم وأئمة المسلمين جميعهم كانوا قد أحاطوا علما بالأحاديث القدسية وعلموا أنها صادرة من الله عز وجل. ولقد ثبت لنا بالدليل الواضح الذي أورده البخاري في ترجمته أن الصحابة كابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة، وغيرهم من صحابة رسول الله عليه وسلم كانوا يوردون الأحاديث القدسية بألفاظ تدل على نسبتها لله تعالى كقولهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه. وغير ذلك من الألفاظ الصريحة الواضحة.

كما أن الحديث القدسي تظهر نسبته لله عز وجل من سياق الكلام، ومن مفهوم العقيدة في الإسلام. فلا يخطر ببال مسلم إطلاقا أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم للناس وهو بشر رسول: يا عبادي.أو أنا الملك، فأين ملوك الأرض؟ أو أنا الديان، أو من يدعوني فأستجيب له، أو من يستغفرني فأغفر له، ولا يعقل أن يرتبك الصحابة رضوان الله عليهم في نسبة هذه العبارات إلى قائلها وهو الله عز وجل.

وقد تبين لنا كذلك من خلال هذا البحث أن أفراد الأحاديث القدسية بالتصنيف في قرون متأخرة من الهجرة إنما يدل على مزيد عناية المحدثين بهذه الأحاديث.

كما اتضح لنا أيضا من سياق هذا البحث أن المسلمين لم ينقلوا شيئا عن

اليهود أو النصارى لأن الأقوال التي وردت عند اليهود والنصارى ليس لها إسناد قائم يصلها بأنبياء الله ورسله مما يثير الشك حول مصداقيتها.

وعليه فإن ما جاء في القرآن والسنة النبوية الصحيحة هو الحجة على ما جاء في توراة اليهود وأناجيل النصارى.

وبهذا تتساقط وتتداعى كل الافتراءات التي ساقها المستشرق وليام البرت جراهام للطعن في الأحاديث القدسية.

مراجع عربية

١ ـ الإتحامات السنية بالأحاديث القدسية، لعبد الرؤوف المناوي وعليه الفتوحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية لمحمد منير الدمشقي، دار المعرفة للطباعة بيروت، لبنان(بدون تاريخ).

٢ ـ الأتحافات السنية في الأحاديث القدسية للشيخ محمد المدني تصحيح وتعليق الشيخ محمود النواوي ـ دار الجيل، بيروت، لبنان (بدون تاريخ).

٣ ـ الأحاديث القدسية تأليف لجنة من العلماء بمصر، دار الكتاب العربي ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٤ ـ الأحاديث القدسية لمحي الدين النووي، تحقيق مصطفى عاشور، مكتبة الاعتصام القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٨م.

٥ ـ الأحاديث القدسية ومنزلتها في التشريع، تأليف الدكتور شعبان محمد اسماعيل، دار المطبوعات الدولية بمصر، الطبعة الأولى (بدون تاريخ).

٦ ـ أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، تأليف د. محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى عام ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧م.

٧ ـ تدريب الراوي شرح تقريب النووي للسيوطي، طبعة مصر عام ١٣٠٧هـ.

٨ ـ التفسير الكبير لفخر الدين الرازي وبهامشه تفسير أبو السعود، طبعة دار الفكر بيروت، لبنان عام ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٩ ـ التفسير الواضح، د. محمود حجازي، تحقيق يوسف العشي، دار أحياء السنة النبوية، الطبعة الثانية عام ١٩٧٤م.

١٠ ـ الرسالة المستطرقة لبيان مشهور كتب السنة المشرقة لمحمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عام ١٤٠٠هـ.

١١ ـ الرسالة لمحمد بن ادريس الشافعي تحقق أحمد محمد شاكر، مطبعة

البابي الحلبيعام ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م.
١٢ - سنن ابن ماجة للحفاظ أبي عبدالله محمدبن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده القاهرة عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢.
١٣ - سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (بدون تاريخ).
١٤ - صحيح البخاري بالشروح التالية:
أ - إرشاد الساري للقسطلاني، المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة السابعة عان ١٣٢٣هـ.
ب - عمدة القارىء للبدر العيني، دار الفكر عام ١٣٩٩هـ - ١٩٥٩م.
ج - فتح الباري لابن حجر العسقلاني، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عام ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
١٥ - صحيح الترمذي بالشروح التالية:
أ - تحفة الأحوذي، للمباركفوري، مراجعة عبدالرحمن محمد عثمان، مطبع ة الفجالة الجديدة، القاهرة عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
ب - عارضة الأحوذي، لابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
١٦ - صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان الطبعة الثانية عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
١٧ - الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ومحمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان - الطبعة الثانية (بدونا تاريخ).
١٨ - فتح المبين شرح الأربعين لأحمد بن حجر الهيثمي وعليه حاشية الشيخ حسن المدابغي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١٩ - الكتاب المقدس المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان عام ١٩٦٠م.

٢٠ - الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، الدكن عام ١٣٥٧هـ.

٢١ - لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر بيروت لبنان (بدون تاريخ).

٢٢ - مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ومعالم السنن لأبي سليمان الخطابي، تهذيب الامام ابن قيم الجوزية، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت لبنان عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٣ - مسند الامام احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مطبعة المكتب الاسلامي، دار صادر بيروت. (بدون تاريخ).

٢٤ - المقاصد السنية في الأحاديثالالهية لأبي القاسم محمد بن علي بن بلبان المقدسي، تحقيق محي الدين مستو والدكتور محمد العيد الخطراوي، مؤسسة علوم القرآن دمشق سوريا، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٥ - النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار أحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة الأولى عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

William Graham's Falsities against Hadith Qudsi (Sacred Hadith)

By: Dr. Ezziyah 'Ali Taha

William Graham, the Orientalist, falsely accused the Companions of the Prophet (P.B.U.H.) with being unable to differentiate between Hadith Qudsi and Hadith Nabawi (Prophetic Traditions). He claimed that they used to ascribe the same Hadith, sometimes to Allah and sometimes to the Prophet. He also claimed that Hadith Qudsi were ascribed to Allah the Exalted only after the 6th century of Hijrah.

The Companions (Rad. A.), their followers and all Muslim scholars have studied Hadith Qudsi as being revealed by Allah the Almighty. We know for sure that the Companions (Rad. A.) used to quote Hadith Qudsi and ascribe them to Allah by using clear phrases such as: "The Apostle of Allah (P.B.U.H.) said of what he has received from his Lord."

Also Hadith Qudsi is clearly distinguished through the context and the concepts of the Islamic faith. No Muslim could think that the Prophet (P.B.U.H.) – who was a human being – would say to Muslims: "O! My servants!", "I am the king, where are the kings of the earth?", "I am the supreme Judge!", or: "Who is saying a prayer to Me that I may answer it? Who is asking forgiveness from Me that I may forgive him?" It is unbelievable that the Companions (Rad. A.) have ever hesitated in ascribing such phrases only to Allah who revealed them.

Gathering Hadith Qudsi in separate books in the 6th century (A.H.) is only a sign of extra care paid to them by the Muhadditheen (Hadith transmitters)

Muslims do not quote anything from the Scriptures of Jews and Christians because they have no Isnad (authentic chain of transmission) that relates them to Prophets and Apostles of Allah, a matter which holds their authenticity in doubt. Thus the Quran and authentic Traditions of the Prophet (P.B.U.H.) are the reliable authority to which those Scriptures must be referred.

In this way, all the fabrications raised against Hadith Qudsi by the Orientalist William Albert Graham have collapsed.